G L A S G O W

د. خالد الراجحي

جسر من ضوء

بوح وتأملات باحث
في دروب (قلاسقو)

الطبعة الثالثة

جسر من ضوء

بوح وتأملات باحث في دروب (قلاسقو)

الطبعة الثالثة
1435 هـ - 2014 م

جسر من ضوء

بوح وتأملات باحث في دروب (قلاسقو)

د. خالد الراجحي

ح/ خالد سليمان عبدالعزيز الراجحي، ١٤٣٤هـ.
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الراجحي، خالد سليمان عبدالعزيز
جسر من ضوء: بوح وتأملات باحث في دروب قلاسقو./ خالد
سليمان عبدالعزيز الراجحي
الرياض، ١٤٣٤هـ. ٢٣٢ ص؛ ١٤,٥×٢١,٥ سم
ردمك: ٤-١٨٦٩-٠١-٦٠٣-٩٧٨
١-الراجحي، خالد سليمان عبدالعزيز-مذكرات أ.العنوان.
ديوي ٠٣٩٥٣١، ٨١٨ ١٤٣٤/٣٣٤٢
رقم الإيداع: ١٤٣٤/٣٣٤٢
ردمك: ٤-١٨٦٩-٠١-٦٠٣-٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة للناشر

التنفيذ الفني

دار وجوه للنشر والتوزيع
Wojoah Publishing & Distribution House
www.wojoooh.com

المملكة العربية السعودية - الرياض ت: ٤٥٦٢٤١٠ فاكس: ٤٥٦١٦٧٥
للتواصل والنشر: info@wojoooh.com
www.facebook.com /wojoooh

طبعت في مطابع شركة هلا

هذا الكتاب يشبهني

إهداء

إلى من ابتسم في وجهي في الغربة، وهو لم
يعرفني، ولم يعرف لغتي ولا وطني..
أهديك كتابي الذي لن تقرأه..

مقدمة

قال الإمام الجليل أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي:

تغربْ عن الأوطان في طلب العلى وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفـرّج هـمٍّ، واكتسـاب معيشـة وعلمٌ وآدابٌ وصحبةُ ماجـدِ

للمسافر عادةً هدف منصوب بين عينيه، وقد يكون طلب العلم أو العلاج أو الاستجمام والترفيه، أو الخلوة بالنفس بعيدًا عن صخب الحياة، أو كسر قوالب العادة والخروج عن نسق المألوف، ولكن السفر يجود بأكثر من ذلك، ويتوسَّع بفوائده على قدر الاستعداد والرغبة التي تكون لدى المسافر.

ولعل أهم ما يكون من فوائد السفر هي تلك الخبرات التي تكسب

النفس ثراءً، وتزيد خزانة الذاكرة بتجارب جديدة، وفوائد لم يكن ليحصل عليها صاحبها في مكانه الذي نشأ فيه، ولا شك أن القلم يعين الذاكرة على الاستفادة من هذه الخبرات لإبقائها حيَّةً ماثلةً بين يدي الإنسان، لا ترحل بنقص الذاكرة ومرور الأيام وكثرة الحوادث، فالكتابة قيدٌ كما هو معلوم.

ومنَّا من يدوِّن تلك الذكريات والمشاهد والصور في خزانة الذاكرة، ويكررها باستمرار حتى تكون أليفة، وسببًا من أسباب الأنس، وأذكر من هؤلاء أبي؛ فقد كان يقصُّ علينا مما جمعه من قصص في أسفاره المباركة.

ومنّا من يدون ذلك بحبرِ الروح على الورق له وللآخرين، ولعل كتاب (تحفة النظار في غرائب الأمصار) لابن بطوطة خير شاهد على ذلك.

هذا الكتاب هو جماع ما استفدته وتعلمته من خبرات وتجارب بجامعة (قلاسقو) العريقة بأسكتلندا، وقد تكلَّلت -بحمد الله- بالحصول على شهادة الدكتوراه في تخصص الإدارة الدولية، وكان عنوان الرسالة: (تأثير العلامة التجارية وبلد المنشأ في الرغبة بالشراء في المملكة العربية السعودية).

هنا أنثرُ عبير الأحداث، وأدوّن الوجوه التي قابلتها، والصعاب التي واجهتني، وما صُقِلت به نفسي، هنا أنا في مرحلةٍ ما من حياتي، مرحلة غيرتني بلا شك، وكانت خطوة في سبيل خطوات قادمة.

كنت قد تحدثت لبعض الأحبة والرفاق عن بعض هذه التجارب

والخبرات، فاقترح عليَّ بعضهم ضرورة تدوين هذه التجربة، التي قد تكون مفيدة للبعض، وقد تكون إضافة متواضعة لأدب الرحلات الذي اشتهر به العرب والمسلمون منذ القدم.

وقبل أن أطرق باب الحديث أود أن أؤكد أنَّ ما في هذا الكتاب لا يخرج عن كونه محاولةً لتسجيل ما اجتمع لديَّ من تجارب وملاحظات لم تُبنَ على تصورات معينة، ولا يجوز أن يُحسب عليّ أو على أيٍّ من الأيدلوجيات المنتشرة في الساحة؛ فهو كتاب مجرد من كل هدف مؤدلج، ولا ينتمي إلا لنفسه وكاتبه ومرحلته.

وبالله التوفيق

الرياض ٩/ ٢/ ٢٠١٣م

الكاتب

البدايات

أول يوم في (قلاسقو)

(أعظم فقر هو الوحشة وشعورك أنَّ أحداً لا يكترث لك)

تيريزا

بعد حصولي على القبول في الجامعة وعند وصولي إلى قلاسقو في أول زيارة، كان يومًا غريبًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فقد انصهرتْ كل المشاعر في قلب واحد: الفرح والانقباض والانزعاج، وبرز بشكل جلي السؤال المهم: لماذا أنا هنا؟ ولماذا هذه الشهادة؟ وهل هذا القرار هو القرار الصحيح؟ للأسف، لا توجد إجابة واضحة، وسيبقى هذا السؤال عالقًا في الذهن مع كل زيارة وكل إشكالية وكل

صعوبة، ولم ينتهِ هذا السؤال إلا عند النهاية، إن كان فعلًا قد انتهى!

ولجواب هذه الأسئلة يتطلب أن ننتظر حتى النهاية، ولا تعتقد أن الجواب سيكون تقليديًا ومنطقيًا، فقط اقرأ حتى النهاية.

إن الشعور بالغربة شعور ثقيل الوزن، له تأثير عجيب على الطعم والرائحة، له تأثير على طعم أطايب الأكلات؛ فهو مرٌّ على رائحة الأشياء حتى أنفس العطور. إن الغربة قاتلة، مميتة، تجعل المرء يتيماً محبطًا غيرَ فاعل! وإن تمكنت الغربة من الشخص أهلكته، ولكنه إذا اتخذها مركبًا، وتمكَّن من السيطرة عليها، فقد تكون متنفسًا للإبداع، ومكانًا لاكتشاف النفس. أما كيف يتم السيطرة عليها؟! فهو السر في التعامل معها، وتحويلها إلى وقود لدفع الإنسان بأن يكون إيجابيًا منتجًا.

يصاب كثير من الطلاب خارج بلادهم بما يسمى (هوم سك)، أو الاحتياج للوطن. وإن سيطر عليهم هذا الإحساس فلن يستطيعوا الإنتاج والتفاعل مع المجتمع الجديد، ولن يعودوا إلى بلادهم بنتائج إيجابية. فلذلك يجب أن يتهيأ الشخص لهذا النوع من الرحلات الطويلة نفسيًا، ليكون إيجابيًا، ويتعامل مع شعور الغربة بحكمة.

إن هذا الشعور قد يستخدم إيجابيًا بأن يكون كوقود ومؤثر لسرعة إنهاء المهمة المراد إنهاؤها (الحصول على الشهادة)، وكذلك لتذكير النفس بأن هذه الرحلات ما هي إلا فرص يجب استغلالها والاستزادة منها بأنواع كثيرة من العلم والمعارف.

بدأت في التنقل راجلًا في المنطقة القريبة من الفندق المجاور للجامعة، محاولًا استكشاف المدينة التي ستكون مدينتي للسنوات

القادمة، وبدأت في الشارع الشهير لجميع طلاب الجامعة (بايرز روود)، والذي يظهر منه أنه شارع مخصص للطلاب ابتداءً من السوبر ماركت الشهير(سيفوي)، ثم مكتب الشحن، وفرع البنك الشهير، بنك (أوف سكوتلاند)، والذي يشعرك هو وإدارة الجامعة أن فتح الحساب به جزء من متطلبات الدخول للجامعة، فلن تكتمل إجراءات التسجيل إلا بعد فتح حساب في البنك.

ومن ثم مجموعة من المطاعم الشهيرة طلابيًّا (صب واي، فش اند شبس، ليتيل اتالي، واسكورت كافيه)، وأخيرًا (تندر بوكس كافيه)، والتي سأفرد لها صفحات خاصة لاحقًا.

السؤال يتكرر مرات أخرى لماذا أنا هنا؟

تضيع بوصلة الإنسان أحيانًا في تحديد المهم والأهم وغير المهم، ويقع في حيرة ترتيب الأولويات وتحديد القرارات؛ ومن ثم إعادة تقويم القرارات، وقد تتأثر عملية إعادة التقويم بالعواطف والمواقف والحالة المعاشة في لحظة إعادة التقويم.

هل أحتاج أن أشرح شعور «المدير الطالب»، الذي يعمل تحت إدارته خمسة آلاف موظف، ومن ثم يعود طالبًا بحقيبة مدرسية على كتفيه؟ أم هل أحتاج أن أتحدث عن شوقي لأهلي وأبنائي والذي يزداد كلما ألحَّ عليّ السؤال؟ نعم! نفس السؤال: لماذا أنا هنا؟ هل يتطلب أن أشرح لك حزني عندما أحسست ولو للحظات إحساس الغرباء بيننا، وهم بعيدون عن أهلهم في غربة قاتلة؟! والفرق بيننا أنهم يغتربون لسنوات بينما نحن نغترب لأشهر، ونملك دائمًا القدرة على العودة،

بينما هم يختارون -أحيانًا- عدم العودة في إجازاتهم الرسمية؛ لتوفير ثمن التذكرة ومصاريف السفر.

للغربة طعم مرٌّ مهما كان سبب الغربة أو هدف الاغتراب، حتى لو كنت في أفضل مكان في الدنيا، أو كان لديك كل الإمكانات... يبقى دائمًا وأبدًا طعم الغربة مرًّا. يقول أبو فراس الحمداني :

بلادي وإن جارتْ عليَّ عزيزة وأهلي وإن ضنُّوا عليّ كـــرامُ

يحتاج المرء إلى وطن ليعرف معنى الحب، والحب أنواع عدَّة، من ألذها وأغربها حب الوطن، لذيذٌ لأنه يبقى ويستمر مهما قسا عليك، وغريب لأنه ينمو ويكبر إن أنت ابتعدت عنه.

لإدراكي بأن الغربة ذات طعم مرٍّ، وأنا صاحب تجربة؛ فقد تغربت عن الأهل في (الظهران) لدراسة البكالوريوس في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن -وإن كانت الغربة أسهل داخل البلد-. والغربة الثانية كانت في أمريكا لدراسة الماجستير، فقد تهيأتُ نفسيًّا للغربة، وما جعلها أقلَّ وطأة أنها لم تكن غربة كاملة، فقد كنت متكرر الذهاب والعودة للوطن.

من أولى المفارقات العجيبة أنني-وللحظات- افتقدت ثقتي بقدرتي على اللغة الإنجليزية، علمًا بأنني أجيدها بشكل مقنع، وعملي يرتكز عليها؛ فاللغة الإنجليزية الأسكتلندية غريبة جدًا، وتحتاج فعلا إلى بعض الوقت حتى تستطيع أن تستوعبها، وقد بدأت التجربة الممتعة مع سائق التاكسي ولم تنتهِ حتى المغادرة، فيتعذر في كثير من الحالات فهم المتحدث الأسكتلندي، خاصةً إذا لم يكن على احتكاك بالغرباء.

تحسَّن كثيرًا استيعابي للإنجليزية الأسكتلندية، ولكنها لم تكن ولن تصل لفهمي الإنجليزية الأمريكية، أو الإنجليزية، أو حتى الأسترالية، جميعها -عدا الأسكتلندية- سهلة الفهم إذا أتقنت إحداها.

من أفضل الأوقات لتعلم اللغة الأسكتلندية هي عندما أستخدم التاكسي، وهناك موضوع يستمتع به كل الأسكتلنديين تقريبًا، وهو: مَنْ فريقك المفضل في كرة القدم؟ هل هو سيلتك أم رنجرز؟ وما إن تفتح هذا الموضوع حتى يبدأ سائق التاكسي بالحديث حتى الوصول، وهي فرصة سانحة للتأقلم مع اللهجة الأسكتلندية.

وللعلم، فخلفية هذين الفريقين هي دينية وطنية؛ ففريق رنجرز يمثل السكان الأصليين من المسيحيين البروتستانت، وسيلتك يمثل المهاجرين الإيرلنديين من المسيحيين الكاثوليك، ولوقتٍ قريب كان من المستحيل أن يلتحق في أحدِ الفريقين أحدٌ من الفئة الأخرى، ولذلك كثيرًا ما يحصل نزاع يصل أحيانًا لحد القتل قبل وبعد المباريات. ويجب أن تكون حذرًا في اختيار أحدهما في نقاشك مع الأسكتلندي، أيًا كان، والأفضل أن تلزم الحياد، وقد يخسر الأسكتلندي كل بروده ووقاره في هذه المسألة.

وأيضًا من الملاحظات الفريدة وجود رائحة غريبة لمدينة (قلاسقو)[1] شممتها منذ وصولي، ذكرتني برائحة حرق المزارع في المناطق الزراعية للتخلص من الأعشاب الضارة، وظلت هذه الرائحة واضحة ومركزة، وخاصة في نهاية الأسبوع، وعند سؤالي عنها قيل لي: إنها رائحة تصنيع

١- يوجد في آخر الكتاب جزء مخصص للمعلومات الخاصة عن مدينة (قلاسقو) لمزيد من الاطلاع

البيرة في المصانع القريبة، وهي تظهر أحيانًا وتختفي أحيانًا، فهي رائحة طبخ الشعير لإنتاج البيرة.

(قلاسقو) مدينة ودودة -إن صح التعبير- وأهلها طيبون جدًا، ويستقبلون الغريب بشكل رائع، فبلادهم مليئة بالغرباء.

إن النظر في إيجابيات القوم الآخرين هو من أهم أسباب التأقلم معهم، ومن ثم السيطرة على تأثير الغربة على الغريب، فالبحث عمّا هو ممتع وجيد في بلاد الغربة، ومحاولة الاستفادة والتعلم منه، هو أحد أهم أسرار التفاعل الإيجابي مع الغربة.

من الممتع أيضًا أن تناقش مع الأسكتلنديين لماذا هم يكرهون الإنجليز؟ ولن يستنكر أحد أن تسأل هذا السؤال، ولا يعدُّون فرضيتك في كرههم للإنجليز تعميمًا في غير محله، فسيردون عليك بالأسباب، والتي أكثرها تاريخية لها علاقة بدخول بلادهم داخل منظومة بريطانيا العظمى، وأيضًا سيذكرون لك أن الإنجليز لديهم إعجاب غير مبرر في أنفسهم.

وللعلم، فإن لأسكتلندا برلمانًا خاصًا يهتم بأسكتلندا فقط، ولهم ممثلون في البرلمان البريطاني، ومع ذلك لا يخفون دائمًا أنهم ينتظرون يوم الاستقلال عن بريطانيا العظمى.

أول يوم في الجامعة

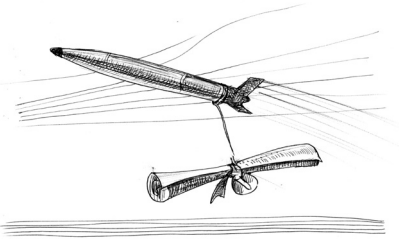

(العباقرة شهب، كُتب عليها أن تحترق لإنارة عصورها)

نابليون

كان الدخول للجامعة في أول يوم ذا شجون، حيث بدأتُ أستعيد بعض العبارات المخلصة والمحبطة في ذات الوقت (لما شاب ودوه الكتاب، لماذا الشهادة فأنت لا تحتاجها، ما تملكه من علم يفوق الدكتوراه)، وغيرها من العبارات التي تظهر الثناء، ولكنها محبطة جدًا.

نحتاج أن نفرق بين العلم للشهادة بغرض الحصول على وظيفة أو ترقية، والعلم للعلم والمعرفة. إن سلفنا لم يكن طلب العلم لديهم

مرتبطًا بوظيفة، بل كان طلب العلم للعلم ذاته، وللاستزادة منه أيًّا كان مصدره، ولذلك اشتهر في أدبياتنا: (اطلب العلم من المهد إلى اللحد) و(اطلب العلم ولو في الصين).

العلم يطلب لذاته، ومزج العلوم بالتجارب يزيد العلم نورًا، ويزيد التجارب نضوجًا وبريقًا، فلا يجوز أن يشترط العلم للحصول على شيء مادي، ومن الخطورة فرضية وصول الإنسان إلى العلم كل العلم، فعبارة (إنك لا تحتاج الاستزادة من العلم)، و(إنك وصلت لكل العلوم) لا تخلو من غبن للحقيقة، وتدميرٍ للشعوب والأوطان.

فنحن نحتاج العلم للعلم، ويوم أن توقفنا توقف تطورنا، وأصبحنا أكبر مستورديه، بل مستهلكيه دون الاستفادة منه علماً خالصاً متجرداً عن اتخاذه وسيلة للمتع والحياة الرغيدة السهلة فقط لا غير.

إن أحببنا العودة فيجب أن نعود للعلم، وأن نسابق الزمن، فغيرنا يقفز الحواجز ونحن مازلنا نحبو، ولِنقفز الحواجز يجب أن نبذل الجهد الأكبر، ونطلب من أبنائنا أن يجعلوا العلم نصب أعينهم، والاستزادة منه مطلباً للحياة لكل العمر، ولا يجوز أن نقف عن الاستزادة منه أيًا كانت الأسباب.

قمت بمقابلة سكرتيرة القسم التي قابلتني بعبارة مشجعة واستثنائية (HELLO YOUNG MAN = أهلا بالرجل الشاب، وبالفعل كان للكلمة مفعول السحر، والكلمة قد تدمرك أو تعيد لك توازنك.

جرت الترتيبات كالمعتاد، واستلمت مكتبي كباحث في الجامعة، ولن أطيل في شرح مستوى التنظيم وسرعة إنهاء جميع الترتيبات؛

فلم تستغرق العملية إلا أقل من ساعة، وكنت قد أنهيت إجراءات التسجيل، وبدأت في الدراسة عدا بعض الشكليات التي يمكن أن تجري في أي وقت آخر. سكرتيرة القسم هي أمٌّ أكثر من كونها سكرتيرة، فدائمًا ما تأتي لزيارتنا في مكاتبنا فقط لتتأكد أننا على ما يرام، ولا نحتاج إلى مساعدة، ولا أنسى عندما أتتني في أحد الأيام، وقالت: ماذا كنت تأكل على مكتبك البارحة، فقد وجدنا شيئًا صلبًا واقعًا تحت مكتبك؟! الذي اكتشفت أنه نوى التمر الذي كنت آكله وأنا على المكتب، فشرحت لها الأمر، وأنه سقط سهوًا، فبادرتني بأنه يجب أن لا أكرر ذلك، واعتذرتُ عن الخطأ غير المقصود، إن التأنيب بحنان يجعله مقبولًا ومستساغًا.

تعرفت على زملائي في المكتب، فكل مكتب يكون به ما بين أربعة إلى ستة طلاب دكتوراه، وبدأت أستفسر منهم عن بعض الإجراءات والخبرات التي اكتسبوها في الجامعة، وكان الجميع مرحِّبًا ومتعاونًا بشكل متفاوت؛ فمنهم من كان على استعداد لعمل أي شيء وفي أي وقت للمساعدة، ومنهم من كان يساعد في أقل القليل وحسب فراغه.

السعوديون -وبشكل عام- يتفوقون في هذا الجانب؛ فهم على استعداد للخدمة في أي وقت بلا قيود من الاستقبال والإيصال للمطار، حتى الطبخ والمساعدة في البحث العلمي.

فهم دائمًا بالخدمة حتى على حساب أنفسهم، وهي مسألة تحتاج إلى مراجعة، فلا أرى أن هناك داعياً أحيانًا لشخص أن يترك جزءًا مهمًا من عمله -وقد يكون ملتزمًا بوقت لتسليم عمل ما- ويذهب لإيصال

زميل له للمطار، فتكلفة التاكسي للمطار من عشرة إلى خمسة عشر باوند (حوالي ستين إلى ثمانين ريالاً سعوديًا)، ولو احتسبنا تكلفة وقت الموصل للمطار بلا شك هي أكبر من هذا المبلغ.

ولا أدعو إلى عدم التعاون أو خدمة بعضنا البعض؛ فهي ميزة لمجتمعنا لا يجوز أن تزول، ولكن ليس على حساب الأولويات، فبقليل من الصراحة الوضوح بين أنفسنا، سنجد أننا نستفيد بإمكاناتنا بشكل أفضل، وبلا ضغوط على بعضنا البعض.

كان وجود السعوديين مشجعًا جدًا وخاصة في مسائل الدعوات والمناسبات، فهم دائمًا يتذكرون العزَّاب (حيث كنت أعزبَ، أي أن زوجتي وأولادي لم يكونوا معي) كأول المدعوين للمناسبات. لن تشعر بالغربة حال تعرفك على السعوديين؛ فهم بالفعل أهل في الغربة، ويشعرونك بأنك في بلدك.

من أهم الخبرات المكتسبة في السفر للدراسة هي معرفة مختلف الجنسيات وكيفية تفكيرهم وعاداتهم، لذلك من المفيد للمسافرين التداخل مع الجنسيات الأخرى، ومحاولة اكتساب هذه الخبرة، حيث إنها مفيدة جدًا في المستقبل العملي. إن قدرات الإنسان على فهم الآخرين تسهل التعامل معهم، وترفع مستوى القدرة على إدراك تصرفاتهم وأسبابها.

ومن المهم إيضاح أن هناك بعض السعوديين يبقون محصورين في محيطهم فقط، ويكون احتكاكهم بالآخرين في حدود ضيقة جدًا؛ مما ينعكس على التحسن المطلوب في اللغة الإنجليزية، وكذلك على قدرتهم وتطور معرفتهم بالتعامل مع الآخر.

التعامل مع الآخر علم بحد ذاته، ومعرفة العادات والتقاليد يُبذل لها الغالي والنفيس، وعندما تكون لدينا الفرصة وبين أيدينا نتقوقع على أنفسنا ولا نستغلها أحيانًا، وهذا من تضييع الفرصة، وعدم استخدامها كما يجب.

أذكر عند دراسة الماجستير كان الطلاب يمثلون أكثر من ثلاثين جنسية، فطلبوا من كل طالب أن يقوم بعرض بعض العادات والتقاليد التي لها علاقة بالأعمال، مثل كيفية تسليم بطاقة الأعمال، وكيفية السلام، وكيفية نطق الأسماء والأخطاء المتكررة، رغبة في مشاركة الطلاب الآخرين بهذه العادات والاستفادة منها مستقبلاً، فهم يعتبرونه علمًا يدرس، ويجب أن يبذل فيه الجهد.

من الملاحظات الغريبة المشجعة هي معدل أعمار الطلاب، حيث لاحظتُ أن أعمار طلاب الدكتوراه أعلى ممَّا توقعته، فكما ذكرت سابقًا كنت أعتقد أنني تأخرت في بدء دراسة الدكتوراه، ولكن اكتشفت أن فهم الأوروبيين لهذه المسألة مختلف، فهم ينظرون للدكتوراه على أنها خبرة إضافية تضاف للعديد من التجارب والخبرات التي يكتسبها المرء.

وليس هناك حدّ أعلى لهذا العمر، فقد يبدأ الإنسان الدكتوراه في عمر متأخِّر، عدا العرب والسعوديين تحديدًا، فهم أصغر الطلاب، وهذه مسألة تحتاج إلى دراسة.

ذكرت صحيفة (صندي ميرور) في عام ٢٠١١م، أن هناك بريطانية تسعى للحصول على الدكتوراه في عمر الخامسة والثمانين مع معاناتها من مرض السرطان.

وتقول البريطانية (إلسي ريتشاردسون): (أبواب التعليم العالي مفتوحة، والسن لا يمثل عقبة، وأنا بطبعي لا أحب الجلوس من دون القيام بأي عمل، وسئمت من الملل، وقررت الحصول على الدكتوراه).

ألا ليت قومي يعلمون.

أسبوع الانخراط في النظام

(إذا لم تعلم أين تذهب، فكل الطرق تفي بالغرض)

الأديب الإنجليزي لويس كارول

بدأ صباح ذاك اليوم جميلًا، وأجواؤه كانت باردة منعشة، وكانت بداية مشجعة بنشاط استثنائي، القهوة الصباحية مع الإفطار تزيد الصباح إشراقًا ونشاطًا، في الطريق إلى الجامعة تثيرك حركة الناس في كل اتجاه، وبخطوات سريعة نشطة مهيجة للعمل الجاد.

أعمار مختلفة، وجنسيات من كل قطر في تظاهرة عملية رائعة، الكل جاد ولا وجود للمتسكعين ولا المتفرجين، أو على الأقل كذا تشعر، بدءُ

اليوم مبكرًا يعكس همَّة القوم ورغبتهم في العمل، ولا شك أن أجواء الجامعة مؤثرة على الشارع، فعدد الطلاب بشكلهم المميز يعكس هذا الأمر.

يستقبل القائمون على هذا الأسبوع (أسبوع الانخراط في النظام) الطلاب بنشاط وهمَّة وابتسامات وترحيبات، وبما أن للوقت ثمنًا، فيكون البدء كالعادة في الوقت المحدد والمتفق عليه، لا مجال لتكريم وتقدير المتأخرين بانتظارهم كما هو الحال في مواعيدنا؛ ففي مجتمعنا يُكرم دائمًا المتأخرون، ويعاقب كل الملتزمين بالوقت بأن ينتظروا مَن تأخَّر، وعند حضوره واعتذاره عن زحمة السير يصر الجميع بأن لا بأس في تأخره، وهذا -والله- عجيب! ومن الملاحظات أن مَن يتأخر هو دائمًا يتأخر، ومن يلتزم بالوقت يعتاد على ذلك، فليس لزحمة الطريق أي علاقة بذلك، فهو أمر شخصي وعادة يعتادها الشخص، فلماذا زحمة السير مثلاً تصطاد أحدنا دائمًا، وتترك البقية أحرارًا فيصلوا في الوقت؟!

أسبوع الانخراط في النظام الجامعي فكرة مطبقة في كثير من الجامعات، والهدف منه هو تسهيل انخراط الطالب بالجامعة والأجواء الجامعية، ورفع مستوى التحصيل العلمي لجميع الطلاب، والاستفادة القصوى للطلاب من الخدمات المتاحة.

فَيُشعَرُ الطالب بالمكتبة وكيفية استخدامها، سواء بالذهاب لها، أو عن طريق الإنترنت، وكيفية الحصول على المقالات العلمية والكتب، وكذلك في حال تعذر كيفية الحصول عليها من مصادرها عن طريق المكتبة وما إلى ذلك.

في هذا الأسبوع يعرف الطالب ما له وما عليه، ويعرف ما هو متوقع منه، وأيضًا يحصل على كثير من النصائح عن كيفية الاستفادة القصوى من خدمات الجامعة، وفي غالب الأحيان لا يحتاج الطالب إلى شيء في سبيل تحصيله العلمي إلَّا ويكون مهيّئًا بشكل متميز.

يكون البرنامج مركّزًا على شكل محاضرات وتطبيقات عملية عن كيفية التعامل مع جميع وحدات الجامعة، وأيضًا يحصل الطالب على جميع عناوين الإدارات والأشخاص الذين قد يحتاج لهم.

ولولا هذا الأسبوع قد يخسر الطالب الاستفادة من كثير من الخدمات، أو يمكن أن يكتشف هذه الخدمات بعد فوات الأوان. جميع طلاب الدراسات العليا لهم برنامج خاص لهذا الأسبوع، ومرةً أخرى يتأكد الملاحظ أن القوم يتعلمون من المهد إلى اللحد، فعمر الدارسين يعطي انطباعًا إيجابيًّا بأني من العشرين بالمائة الأصغر، قد أكون بالغت في هذا النسبة، ولكن هكذا كان شعوري في ذلك الأسبوع.

أعتقد أن مَنْ يحضر هذا الأسبوع كاملًا يكون قد عرف كل خدمات الجامعة، ولا يحتاج بعده إلى كثير من الأسئلة عن كيفية الوصول لما يريد.

تعرفت على مجموعة من الطلاب من مختلف بلاد العالم في هذا الأسبوع، وشعرت في نهايته أنني بدأت الرحلة.

النادي السعودي

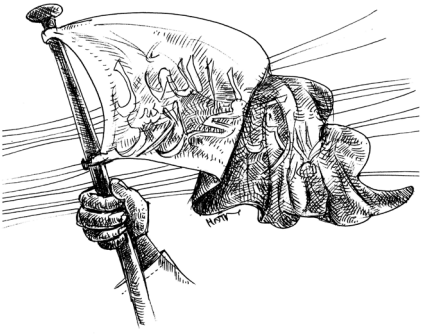

(الجميع يفكر في تغيير العالم، ولكن لا أحد يفكر في تغيير نفسه)
الأديب الروسي ليو تولستوي

من أبجديات التعرف على الطلاب السعوديين هو التعرف على النادي السعودي الذي يمثل بحق نقطة التقاء جميلة وممتعة للسعوديين وعائلاتهم، فقد حرصت منذ البدء على حضور اللقاء الأسبوعي متى ما سنحت الفرصة، أي عندما أكون في (قلاسقو) حيث إنني لم أكن أقضي كل وقتي في (قلاسقو)، أو بالأحرى لم أقضِ فيها إلا ٣٠٪ من وقت الدراسة حيث إنني كنت على رأس العمل، علمًا بأني مسجل

بالجامعة طالباً منتظماً، فهكذا كنت حتى النهاية.

ماذا كان السعوديون يفعلون ويقولون في اجتماعهم الذي ينصب في التواصل والتشاور وكذلك تبادل الخدمات؟ كان لهم دور إيجابي للقادمين الجدد، فهم يختصرون لهم الكثير من الخبرات، ويسهلون لهم الحصول على ما يريدون بكل سهولة.

ومن أغرب الأمور أن تقابل شخصًا محسوبًا على فئة، وعند نقاش إحدى المسائل المطروحة يبادر برأيه فيها حسب رأي الفئة، وعند نقاشها ترى أنه غير مُلمٍّ بأسباب وحيثيات هذا الرأي، فقد سمعه وأطلقه دون أن يفهم أسباب الرأي، فهو مخلص للفئة أكثر من إخلاصه لتفكيره! فهل يحتاج هؤلاء إلى إعادة صياغة طريقة تفكيرهم؟!

حضر مسئول من السفارة السعودية بهدف لقاء الطلاب وحل مشكلاتهم، وكان الترتيب أن يلتقي بالطلاب والطالبات في أحد الفنادق، فانقسم الجمع إلى قسمين: أحدهم يرى أن يفصل الطلاب عن الطالبات، والطرف الآخر يرى أن يكون العمل بنظام الجامعات التي -بلا شك- لا تفصل بينهم.

فلكم أن تتخيلوا النقاش ومستواه ووصوله إلى إيميلات متبادلة، كلٌّ يتهم الآخر بما يستطيع خيالك أن يأخذك.

حضر المسؤول وفصلت الطالبات عن الطلاب، وأصرَّتْ بعض من الطالبات على الحضور مع الطلاب، وقام المسؤول بمقابلة الطالبات في مكانهنَّ المنفصل، واستمر النقاش والاتهامات عبر الإيميلات المتبادلة التي يقرؤها كل الطلاب والطالبات المشتركين في النادي، وكانت بحق

قصة تحكي كل الحكاية، وتوضح مستوى التعاطي في الاختلافات الفكرية، كان للبعض الآخر اقتراح عملي ويحل الإشكال، تبادلوه بينهم ورأوا أنهم في غنًى عن طرحه؛ حيث إنهم ليسوا محسوبين على أيٍّ من الطرفين، وقد يصنفون من أحدهما عند هذا الطرح.

الاختلافات في الآراء هي وقود العلم والمعرفة، ولن تتطور المجتمعات دون آراء مختلفة وتصورات ذات مرجعيات مختلفة. هل هناك مجتمع تطور برأي واحد أو بمنطلق واحد؟ وهل يمكن أن يعيش الناس كلهم بناءً على اجتهاد شخص، أو حتى فئة محددة؟ لن يكون مآل ذلك إلا التخلف والردى، وسنبقى أسارى نظريات ومبادئ محددة.

(غرناطة) عاصمة النور والمعرفة الإسلامية العالمية احتضنت كل العلوم وكل الفئات وكل الديانات، وفي جوامعها -التي كانت بمثابة الجامعات- درس الطلاب من كل أقطار الدنيا اللغات والشعر والبلاغة، وفي دورها تعايش الناس، وتلاقحت الأفكار، ونضجت النظريات، ونجحت وتقدمت في مجتمع مثاليٍّ راقٍ متمدن متسامح، وعندما سقط التسامح وصودرت الآراء ضعفت واستكانت، وغابت شمس غرناطة العاصمة الإسلامية، فلم تشرق بأفق ضيق وفكر محدود، وبكاها أهلها من اليهود والمسيحيين قبل المسلمين، حيث عاشوا في كنفها الرحب، وتلذذوا بأنوارها التي وسعتهم كلهم بلا تمييز.

قال لي أحد المطلعين: إنه يحمد الله على انتشار القنوات الفضائية، علمًا بأنه كان من أشد الناس تحفظًا عليها؛ وتعليله أن القنوات فتّحت مدارك الناس، وعلِم الناس أن لكل شيء ضدًّا، وأن لكل رأي رأيًا مخالفًا، ولكل فئة مخالفوها، وأن ما كان يعتبر من المسلمات أصبح

قابلًا للنقاش بعيدًا عن الثوابت الدينية، فالثوابت الدينية ليست مجالًا للنقاش.

فما نحتاجه نحن هو إعادة صياغة أسلوبنا التعليمي في المدارس والجامعات، بحيث نبتعد تماماً عن أسلوب التلقين، ونستبدله بنظام تقبل الآراء ومناقشتها، وإعطاء الفرص للجميع ليقولوا ما لديهم، ومن ثم يتطور المجتمع.

بايرز روود

(كل الطرق تؤدي إلى بايرز روود)

في جامعة (قلاسقو)

الجامعات ليست بمعزل عن اقتصاد المجتمعات، ولا يمكن أن تعزل، فالجامعات في العالم تكون عادة جاذبًا قويًّا لمتصيدي الفرص الاقتصادية، فأينما وجدت جامعة وجدت مجموعة من الأعمال التي تخدم الجامعة والعاملين بها وطلابها، ويكون عادة للطلاب احتياجات محددة وبتكاليف معقولة، حيث إن الطلاب عادة لديهم ميزانية محدودة.

جامعة (قلاسقو) لا تختلف عن غيرها من الجامعات إلا بالقدم، فهي

من أقدم الجامعات في بريطانيا، وعمرها حوالي ٥٥٠ سنة، وهي من الجامعات الأربع التي أُسست بقرار ديني بابوي، حيث إن الجامعات في ذلك الوقت تعتبر تحت إشراف الكنيسة، وهي المشرعة التي تصدر قرارات تأسيس الجامعات[١].

ففي جامعة (قلاسقو) ومع الزمن نشأت حركة اقتصادية قوية بالقرب من الجامعة، بالقرب منها وجد كل ما يحتاجه الطالب من خدمات وبأسعار معقولة، وأهم وأشهر شارع بالقرب من الجامعة هو (بايرز رووود).

(بايرز رووود) وما أدراك ما (بايرز رووود)! قال لنا رئيس برنامج الدكتوراه في كليتنا: يعتقد كثير من الطلاب أن (قلاسقو) هي (بايرز رووود) و(بايرز رووود) هي (قلاسقو)! وبالفعل عندما أخبرنا بذلك كان بالنسبة لي صادقًا، فلم أعرف من (قلاسقو) إلا هذا الشارع الجامعي بامتياز، ففيه كل سمات الشارع الطلابي من خدمات البقالة، إلى خدمات الطالب والبريد والمطاعم والمقاهي بجميع أنواعها.

لا تشعر أنك خارج الجامعة فأنت في الجامعة، حتى عندما تذهب إلى المقهى ترى طلاب الجامعة والذين يعملون بشكل جزئي هم مَن يعملون فيها، ما يميز هذا الشارع أنه فعلًا لا يُملّ بأجوائه الفرائحية الممتعة، وجميع الحضارات ومختلف المشارب موجودة فيه، حيث إنه شارع دولي من حيث اختلاف اللغات والألوان المتوافرة فيه.

١- (سيكون هناك جزء خاص في آخر الكتاب يحكي قصة جامعة قلاسقو).

لن ينسى أي طالب من خريجي (قلاسقو) هذا الشارع؛ فهو ممتع، غريب، متميز، ولا يمكن الاستغناء عن خدماته.

إن الطالب قد يقضي في (بايرز روود) حوالي ٢٠٪ من يومه على أقل تقدير بين أكل وشرب وتسوق وخدمات، فهو -بلا شك- مُسهم في العملية التعليمية، وهنا يكمن التكامل بين وحدات المجتمع لخدمة بعضها البعض، فتجد أن هناك تكاملاً في خدمة الطالب في منطقة واحدة فلا يحتاج كثير عناء لإنهاء مصالحه.

(ولبايرز روود) ذكريات جميلة وعزيزة في نفسي، فمنه بدأت كل الحكاية، وفيه انتهت هذه القصة.

أبكي يا زمن على فراق الأماكن ففيها الذكريات ومنها القصص والحكايات تسكنها وتألفها وتبقى في عمق الذاكرة تردد القصص وتروي الأحداث، فالحياة ما الحياة إلا مجموعة من الذكريات ترتبط بالأماكن وما بها من حكايات.

أسماء مرت هي وقود التجربة وهم ذكرياتها، وبهم قضي الزمان، وبوجودهم أمتعتنا الأيام، فلهم كل التحايا، وبهم أثريت الحكاية كل الحكاية.

في هذا الشارع قابلت أشخاصًا، وتعرفت عليهم وتوطدت علاقتي بهم من خلاله، وكنا نجتمع في مقاهيه بشكل شبه دائم، وانتهت علاقتي بهم في نفس الشارع، فكأن هذا الشارع الحياة لعلاقتنا، ويا لغرابة الأمر فقد نسيت حتى أسماءهم وصفاتهم، ماتوا في الذاكرة مع نهاية علاقتي بهذا الشارع.

(بايرز روود) سأعود لك يومًا لأعيد قراءتك، فقد أجد فيك ما سقط من ذاكرتي، انتظرني..

النادي الاجتماعي

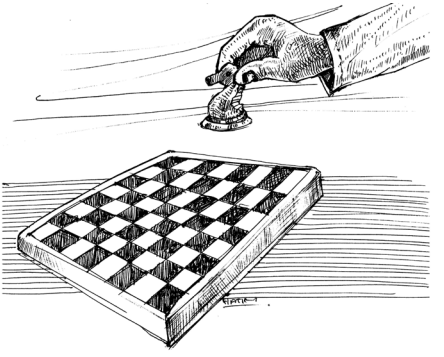

(على الوطنية أن لا تعمي أعيننا عن رؤية الحقيقة، فالخطأ خطأ بغض النظر عن من صنعه أو فعله)

مالكوم إكس

يقوم النادي السعودي في نهاية كل أسبوع بعمل نشاط رياضي، حيث يجتمع عدد من السعوديين مع أبنائهم للمشاركة في رياضة كرة القدم، ويكون ذلك في نادٍ اجتماعي يتبع للمدينة، وعند الوصول للنادي يبهرك مستوى النادي ونظافته، وكذلك يسترعي الانتباه مشاركة جميع الفئات العمرية ابتداءً من السنتين أو أقل إلى عمر السبعين أو أكثر، وهناك نشاطات مختلفة في هذا النادي تناسب كل

الأعمار، ومختلف الأذواق، وجميع النشاطات في مبنى مغلق ومغطى، يتناسب مع أجواء (قلاسقو) الباردة والممطرة في معظم أيام السنة، وعند السؤال عن تكلفة هذه الخدمة تبين أن الخدمة في الساعتين خمسون جنيهًا إسترلينيًّا (حوالي ٣٠٠ ريال سعودي) تدفع من النادي السعودي، وهذه الخدمة تمنح للسعوديين مثل غيرهم، حيث إنهم سكان للمنطقة، ومن ثم يسمح لهم نظامًا الاستفادة من هذا النادي.

هناك مجموعة من التجارب البسيطة والقابلة للتطبيق في بلادنا عن كيفية تكامل المجتمع لخدمة المواطن، ومن التجارب التي تصب في هذا السياق وجود نادٍ اجتماعي تملكه المدينة به كامل الخدمات الرياضية والاجتماعية، يستطيع جميع الساكنين في المدينة الاستفادة منه برسوم رمزية وحسب أسبقية الحجز دون تمييز.

وبلا شك أن الاستثمار في الشباب هو عين العقل، ولكن لو أراد أي شاب الآن أن يجد مكانًا مناسبًا محترمًا محافظًا يمارس فيه اهتماماته الرياضية فهل يمكن له ذلك؟ إلا إذا كان من الطبقة الغنية، فأين يذهب البقية؟!

للأسف هناك بعض التجارب في الأحياء، ولكنها مازالت تُدار بشكل سيِّئ، وإن أردتَ تكرارها ستصطدم بسوء تخطيط المدن، ومن ثم نتساءل: لماذا يقضي شبابنا وقتهم في اللف والدوران والتسكع في الأسواق؟! إن الشباب طاقة يجب أن تُوجَّه للوجهة الصحيحة، وعدم وجود هذا التوجيه يجعل منهم قنابل موقوتة قابلة للتوجيه والانفجار في أي لحظة.

إن إنشاء مراكز اجتماعية رياضية تبقى للمجتمع وتحمي شبابه -بإذن الله- من الضياع والانفلات، وكما أن الاستثمار بشبابنا حق مشروع لهم، وما يصرف في هذا المجال متميز لكن يحتاج إلى إعادة توجيه، بحيث يغطي كل فئاته بدلًا من الاستفادة منه واستثماره في فئة محدودة والبقية الأخرى جمهور متفرج فقط، وللتأكيد، لا تعارض بين دعم المنتخبات وتهيئة الأندية الاجتماعية للشباب، بل هناك تكامل بينها.

تندر بوكس كافيه

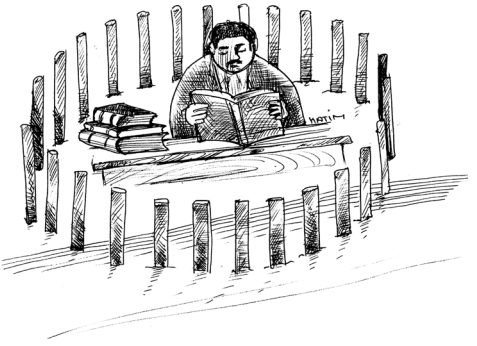

(ليس عدم جرأتنا على الأشياء بسبب أنها تبدو لنا منيعة، بل هي تبدو لنا منيعة بسبب عدم جرأتنا عليها)

الفيلسوف سينيك

من فوائد السفر الاطلاع على التجارب الأخرى في أسلوب الحياة، ومن الملاحظ أن منازل كثيرٍ من الشعوب ليست كبيرة مثل المنازل السعودية، وبريطانيا من هذه المجتمعات التي يُعدُّ المنزل فيها سكنًا فقط وفي أقل الظروف لاستقبال عدد محدود من الأقارب والأصدقاء المقربين.

أما أين يلتقون مع الأصدقاء؟ فذلك يكون في المطاعم والمقاهي والأماكن العامة، وهذا ناتج -كما ذكرت- بأن منازلهم ليست مهيأة

كما يجب لاستقبال الضيوف، وكذلك لعمل الزوجة في أكثر الحالات، وعدم وجود الخادمات في المنزل، وقد تكون هناك أسباب أخرى.

هذا الحال مختلفٌ تمامًا عن السعودية، فإلى وقت قريب جدًا تُعدُّ دعوة صديق إلى مطعم أو مقهى من الأمور المستنكرة، وكذلك دعوة الضيف إلى مطعم أو مقهى في السعودية من خوارم المروءة! هذا الحال تغير قليلًا، ولكن لا يزال في منطقة المنتصف، ولا تزال دعوة الضيف خارج المنزل فيها نظر، وليس الحديث عن هذه الظاهرة لإثبات أو نفي صحة أحد الخيارين، إنما لتوضيح تأثيرات السفر والاحتكاك بالآخر على نمط العيش وأسلوب الحياة.

من منطلق أهمية المقاهي في (قلاسقو) وعند مرورك في (بايرز روود) لا يمكن أن تتحاشى ملتقى الطلاب في (تندر بوكس كافيه). وهو بالفعل ملتقى الطلاب، ففيه تجد من الطلاب من لم يحالفك الحظ في مقابلته في الجامعة، وهذا المقهى ١٠٠٪ طلابي من العاملين للزبائن، ولا يميزه إلا الموقع والاعتياد، فقد تعود الطلاب الاجتماع فيه والمناقشات والمشاورات اليومية.

يعدُّ العزاب من السعوديين أو المتزوجين القادمين دون زوجاتهم من الزبائن الدائمين (لتندر بوكس)، وفيه يمكن أن تتعرف على كثير من الزملاء، وقد تستمر هذه العلاقات وتنمو على مر السنين.

وتُعتبر المقاهي في بريطانيا وأوروبا ملتقًى طبيعيًا لجميع طبقات المجتمع، وتحفل كثيرًا في مجموعة من المشروعات والنقاشات ذات الصبغة الجدية، فلا يستغرب أن يحصل الالتقاء في المقاهي لمناقشات عالية المستوى، أو إبرام عقود.

ولعل من المناسب ذكر المقهى الشهير في جادة الشانزليه في باريس (الفوكيت)، فقد شهد توقيع عقود أشهر الكتب والأفلام الفرنسية، وما يراد قوله هنا: أن هذه الثقافة بدأت تغزو المنطقة العربية وبالذات السعودية؛ وذلك ناتج من تأثر الطلاب والسواح بهذه الثقافة، ومن الملاحظ أن الاجتماعات المنزلية بدأت في الانخفاض بشكل واضح، وارتفاع الاجتماعات في المقاهي والمطاعم، وكذلك ردهات الفنادق.

وكما ذُكر سابقًا، تبقى المطاعم والمقاهي غير مقبولة لكل فئات المجتمع، ويبقى استقبال الضيوف بالمنزل من أهم سمات المجتمع التي لم تتغير، ولا أعتقد أنها ستنتهي بشكل سريع، وقد تُبقي جزءًا مهمًا في التركيبة الاجتماعية في المملكة العربية السعودية.

في (قلاسقو) يبقى مقهى (تندر بوكس) في ذاكرة الطلاب، فهو جزءٌ لا يتجزأ من الخبرة التعليمية، وهناك مجموعة من الطلاب الذين لا يذكرون (قلاسقو) والجامعة إلا ويقرنونها بـ (تندر بوكس) في التجربة. يلتقي مجموعة من الجنسيات العربية في (تندر بوكس) مما يعطيه صبغة أممية، فيمكن أن تقابل اللبناني والسوري والليبي والمغربي والمصري والكويتي والقطري والعماني... وقد أحتاج لإكمال الصفحة بالجنسيات الأخرى.

وبلا شك فإن الجالية الباكستانية قد وضعت صبغتها الباكستانية الإسلامية في المدينة، حيث يوجد في (قلاسقو) حوالي اثني عشر مسجدًا حسب آخر إحصائية، ولهم باع كبير في التجارة، ولهم تأثير كبير على الشكل العام للمدينة.

إن لذة القهوة ونكهتها (على سبيل المثال) مرتبطة بالمكان والزمان، فقد تتلذذ بها بدافع الأجواء المحيطة فقط، وقد تتذوق نفس القهوة بأجواء أخرى ولا تجد لها طعمًا، فالأجواء المحيطة بالإنسان تنعكس على طريقة تفاعله مع ما يقوم به أيًّا كان، لذلك يقول المختصون في التسويق: إن هذه المقاهي تبيع الأجواء ولا تبيع القهوة؛ فتكلفة القهوة ذاتها قليلة جدًا، ولكن تكلفة تهيئة الأجواء هي المرتفعة، وهي التي ترفع تكلفة القهوة، ومن ثم ترتفع التكلفة على الزبون.

تبادل النظرات مع السعوديين

(الحياة قد تصبح رائعة إذا تركك الناس وشأنك)

الممثل شارلي تشابلن

لماذا لا يسأل كلٌّ منَّا نفسه هذا السؤال: لماذا عندما نلتقي خارج السعودية نتبادل النظرات بشكل فكاهي، ونسرق النظرات من بعضنا البعض وكأن بيننا عداوة أو حربًا أهلية، والضعيف هو من يبدأ بالسلام خلافًا للسنة المطهرة؟!

تبدأ النظرات حال دخولك المكان أيًا كان! نظرة قوية شرسة، وخفض النظر بدون تحية أيًّا كانت، ثم يبدأ نظام سرقة النظرات

وانخفاض الصوت، وتبدأ بالشعور بالضيق وكأنك أفسدت عليهم الجو. نجهل كيفية البدء في العلاقات في الأماكن العامة، ونتخوف أن تنسحب تأثيراتها على كل الرحلة إن كنا في سفر.

فبقدر جهلنا في البدء بالعلاقة، أيضًا نجهل كيفية إنهاء اللقاءات، لذلك وداعاتنا تطول وتتكرر في الوقت نفسه. يقول أحد النبهاء: إن هناك عادة وهي أننا نودع بعضنا البعض ونبدأ بالحديث مرة أخرى، ونودع بعضنا ثم نبدأ مرة أخرى، وتستمر الوداعات إلى ثلاث مرات أحيانًا.

الغريب أن حال تعرفك بالشخص أيًّا كان تختلف التجربة تمامًا، فتتحول وبسرعة البرق كأنك أقرب قريب، وأكثر الأصدقاء قربًا، وأحيانًا تكون أكثر مما ينبغي فتصبح ضحية لعلاقة غير مريحة ومؤثرة سلبًا، فقد اعتاد بعض الطلاب -وأنا منهم- أن يقضوا معظم وقت القراءة الأكاديمية في المقاهي، وقد يأتي أحدهم ويقول: هل أضيع وقتك بأن أجلس معك؟ فالرد المعتاد: لا بأس خمس دقائق يمكن أن أقضيها معك، ولكن للأسف ينسى كثير منهم أن الخمس دقائق هي فعلًا خمس دقائق، وتستمر اللحظات الثقيلة حتى قد يضطر من يقرأ للخروج من المكان ويغيره فقط للهروب من المأزق، ولا شك أنه يتمنى لحظتها لو أن العلاقة استمرت على النظرات السابقة.

إن القلة القليلة من الطلاب (عادة الطلاب الجدد) مَن يكونون من هذا النوع، حيث إن الطلاب عادةً ما يكونون مشغولين بدراستهم بشكل مكثف، والاستثناء لا يؤثر على القاعدة الأعم، فقد كان لوجود

السعوديين في (قلاسقو) الدور الأكبر في دعم وتسهيل التحصيل بدعمهم غير المحدود.

نحتاج إلى التوازن في علاقاتنا، فمثلًا لا يمنع أن تدخل إلى مقهى وتقابل سعوديين وتسلم عليهم، وتكمل طريقك إلى طاولتك وتنهي ما أتيت من أجله بدون تداخل مع برنامجهم، والذي قد يكون مهمًّا ويجب أن ينتهي حالًا، كذلك لا يصح أن تُعد الإفادة بأنك مشغول ولا ترغب بمشاركة الآخرين لطاولتك نوعًا من عدم الاحترام، أو عدم الرغبة بالعلاقة مع الآخر، فقد تكون فعلًا مشغولًا وتحتاج أن تكون لوحدك، يحصل أن يجلس في كثير من الحالات شخصان في نفس المقهى في طاولتين مختلفتين نظرًا لانشغالهما، وبعد أن ينتهيا يتشاركا ألذ اللحظات.

شعور الطالب وشعور المدير

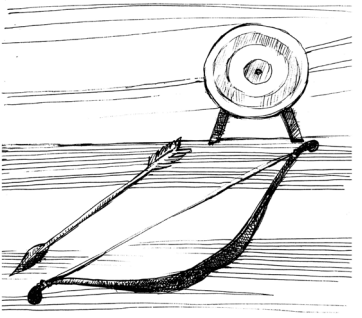

(يمكن أن نعقد حبلا مقطوعًا، لكن العقدة تظل ظاهرة في وسطه)

مثل فارسي

منذ انتهائي من الماجستير في أمريكا كنت أرغب في إكمال دراسة الدكتوراه، ولكن لدواعي العمل قررت العودة للعمل، وأجَّلت فكرة إكمال الدراسة لوقت لاحق، ومع انشغالي في العمل وتعدد الالتزامات استمر التأجيل لفترات طويلة حتى خلتُ أنني لن أحقق هذه الرغبة.

ولكن بعض الرغبات -خاصةً إذا اتسقت مع شخصية الشخص-

تبقى معلقة ومقلقة للشخص حتى ينهيها. شعرت دائماً بأن لي توجهًا أكاديميًا، بالإضافة إلى التوجه العملي، وهذا الشعور ومع زيادة الارتباط والأعمال كان -وللغرابة- ينمو بل يشتعل، لذلك اتخذت القرار وبدأت في تنفيذه بعون الله.

قبل البدء في دراسة الدكتوراه قضيت أكثر من عشر سنوات رئيسًا تنفيذيًا في (دواجن الوطنية)، والتي تعدُّ أكبر مشروع للدواجن بالشرق الأوسط، ويعمل به خمسة آلاف موظف من أكثر من ثلاثين جنسية مختلفة، وكما هو معلوم أن كونك رئيسًا تنفيذيًا لإحدى كبريات الشركات في المنطقة يتطلب منك القيام بالأعمال الاستراتيجية، وترك التفاصيل للمساعدين وموظفي الشركة، ومن المهم التأكيد على أن هذه الأعمال تشمل كثيرًا من الأعمال التنفيذية البسيطة.

عند البدء في دراسة الدكتوراه حرصت -وبشدة- على أن أكون فعلًا طالبًا بكل معنى الكلمة، فقد أقمت بالسكن الخاص لطلاب الدراسات العليا في الجامعة، ولم أقتنِ سيارة ولا سائقًا، وقمت فعلًا بحمل حقيبة الطالب كما هو حال جميع الطلاب، ويجب أن أعترف أنه حدث تغير كبير وكبير جدًا في الشعور وفي طريقة العيش، والمزعج هو أنني كنت مضطرًا لهذا التغير باستمرار، حيث إنني كنت طالبًا منتظمًا في الجامعة، وفي الوقت نفسه أقوم بعملي رئيساً تنفيذياً للشركة، ومع صعوبة التعايش المختلف تظهر لديك شخصيتان مختلفتان، ومن الصعب التوفيق بينهما أحيانًا. أذكر في إحدى المناسبات العلمية أنه كان يتطّلب منا الذهاب مبكرًا إلى قرية قريبة لمدة يومين لعمل مراجعة لتقدمنا البحثي، وذلك لجميع طلاب الدكتوراه في كلية الإدارة، ونظرًا

لبعد سكن الطلاب بحوالي عشرين دقيقة راجلًا، ولضيق الوقت، وخوفًا من تحرك الحافلة قبل حضوري اضطررتُ لركوب التاكسي، والذي كلفني حوالي خمسة جنيهات إسترليني، أي ما يعادل (ثلاثين ريالاً)، وعند الوصول شاهدتني المشرفة الثانية لبحثي، وهي يونانية تُدعى (كليوباترا)، وقالت: هل يعقل أن يأتي طالب للجامعة بسيارة تاكسي!

فكذلك ينظرون للطالب ويتوقعون أنه يحضر إما راجلاً أو بالحافلة والذي يكلف فقط ٢٠٪ من هذا المبلغ، فلذلك كنت أعيش شخصيتين متناقضتين، وأعتقد أنني إلى حدٍّ ما استطعتُ تقمص شخصية الطالب فعلًا، واستمتعتُ كوني طالبًا، فتطابق الصفات الشخصية مع العمل المناط بالشخص من أسباب النجاح، وكذلك من أهم عوامل التصالح مع الذات.

في إحدى المرات تأخرت في تسليم عمل للمشرفة الثانية على البحث، وفي عرض تسويغي لهذا التأخير ذكرت للمشرفة بأنني كنت في مدينة (هانوفر) في رحلة عمل، مما أثر على جدولي، ومن ثم تأخرت في التسليم، وبعد حوالي الشهر كنا في نقاش لبحثي على مستوى الكلية (المراجعة النصفية)[1]، وفي عرض النقاش علقت المشرفة الثانية: خالد! يجب أن تقرر أن تكون طالبًا أو مديرًا، فقضاء وقتك بين العواصم الأوروبية لا يتناسب مع طالب دكتوراه، أعلم أنه خيار صعب، ولكن أؤكد لك بأنك لن تكون الاثنين معًا، هذا التحدي إما أن يكسرك أو

١- سيتم الحديث عنها لاحقًا.

يشعلك من الداخل، وهناك من يوفق ليكون الاثنين معًا، وهناك من يفشل.

قد يضطر الشخص أحيانًا إلى تقمص أكثر من شخصية، شخصية العمل وشخصية البيت، شخصية البلد وشخصية السفر، شخصية الأهل وشخصية الأصدقاء.. وما إلى ذلك من الشخصيات، وقد يحتاج أحيانًا أن يكون بأكثر من شخصيتين، ولا أعتقد أن هناك إشكالًا في ذلك؛ فهذا أمر طبيعي.

ولكن كلما اقتربت الشخصيتان أكثر إلى بعضهما كان ذلك أقرب للنجاح، وحصل ما يسمى بالتصالح مع الذات، وكلما ابتعدت الشخصيتان عن بعضهما كان ذلك من أسباب الارتباك وعدم الاستقرار النفسي. وهذا الكلام ينطبق على الصفات الشخصية العامة وليس التفاصيل، فيجب أن لا يتعامل الإنسان مع أهله مثل تعامله مع زملاء العمل، ولكن يجب أن يحافظ على نفس المبادئ ونفس الصفات الأساسية.

الدراسة

أكاديمي أم تنفيذي

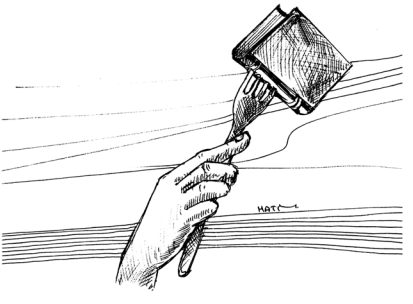

(قيمة كل امرئ ما يحسنه، والمرء مخبوء تحت لسانه، والناس أعداء ما جهلوا)

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قل لي: كيف تفكر؟ أقول لك من أنت؟! لا شك أن كلَّ الناس يفكرون ولكن بطرق مختلفة، ولم أكتشف وأجرب هذه الحقيقة إلا بعد هذه التجربة لدراسة الدكتوراه الفريدة، وقد لفتت نظري لهذه الحقيقة مشرفتي الأولى -ماريان- حيث إن لكل طالبٍ مشرفَيْن يشرفان على رسالته، فقد قالت لي في لحظة نقاش عميقة معتادة بعد أي جزء مهم من الرسالة، قالت لي: خالد أطلب منك أن تخلع من رأسك طريقة التفكير

كتنفيذي، وتبدأ التفكير كباحث أكاديمي، كانت فعلًا صدمة قوية لم أدرك أبعادها إلا بعد تفكير عميق، وتأكدت من هذه الحقيقة مع تطور البحث وحقيقته، وكنت في كثير من الأحيان أتمنى أن يكون حاضرًا معي في تلك المناقشة من اقترح عليّ عدم المضي في دراسة الدكتوراه على أساس أنني لست بحاجة إليها.

يتأثر الإنسان بمحيطه سواء على مستوى العائلة أو المدرسة أو المجتمع، وينعكس ذلك على طريقته في التفكير وطريقته في الأداء، وهذا التأثر ينسحب على أسلوبه في الحياة؛ فكثيرًا ما ترى أشخاصًا ومن طريقة كلامهم تعرف خلفيتهم وتعرف مجتمعهم، فقد ذكر الشيخ الدكتور سلمان العودة: أنه يعرف المعلمين من تكرار كلامهم، وهي عادة اكتسبوها من إعادة النقاط على الطلاب بغرض توضيحها.

كنا في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن ندرس إحدى المواد الإدارية، وكان الدكتور غازي حبيب هو محاضر المادة، وهو خريج هندسة في البكالوريوس، وأكمل الماجستير والدكتوراه في الإدارة والتسويق، وكان يقول: إن المهندس يفكر بشكل مركز ومباشر، ويبحث عن نقطة محددة ويهتم بالتفاصيل، بينما من تخصّص في الإدارة ينظر بشكل أعرض وأشمل، ويركز على العموميات أكثر من التفاصيل الدقيقة، فهذا يعكس أن تخصص الشخص يؤثر على طريقة تفكيره، وليس الهدف هنا تفضيل تخصص على آخر، ولكن إثبات أن التخصص له تأثير قوي وكذلك المجتمع.

يفكر التنفيذي بطريقة مختلفة عن الأكاديمي، وإذا عرفت هذه

الحقيقة قد تستطيع اكتشاف السبب في عدم شيوع نجاح الأكاديميين في الوظائف التنفيذية، وأيضًا عدم شيوع نجاح التنفيذيين في المجال الأكاديمي.

فكيف يفكر التنفيذي؟ إن التنفيذي يفكر بطريقة القفز على الحواجز، ويبحث عن إنهاء المهمة في الوقت المناسب، وفي نسبة إكمال معقولة، أي أن ما نسبته ٧٠٪ إكمال يعتبر مقبولًا جدًا، ويبقي الإنجاز التزامه في الانتهاء في الوقت المطلوب. تقول (مريان) عن التنفيذيين: إنهم خبراء إنهاء الموضوع في الوقت المناسب.

أما كيف يفكر الأكاديمي؟ إن الأكاديمي يفكر بطريقة مشية السلحفاة، بهدوء، ولكن بدقة ووصول مكتمل حتى لو تأخر الوصول قليلًا، أي إن الأكاديمي لا يترك أيًّا من التفاصيل في عمله إلا ويغطيها، ولا يعتبر عمله متقنًا إلا إذا قام بتغطية التفاصيل الصغيرة قبل الكبيرة، وكذلك يُطلب منه في البحث أن يذكر أي قصور في بحثه، فإظهار عيوب ونواقص البحث من أبجديات العمل الأكاديمي المميز.

ولو طبقنا هذا على أسلوب تنفيذ القرارات، فالتنفيذي يجمع ما يمكن من المعلومات والمتغيرات، ويجتمع بالمختصين ويناقشهم بقوه وبشدة، ويكون قد أبلغهم أنه سيقرر بعد هذا الاجتماع، أيًّا كانت المعلومات المتوفرة، ويقوم فعلًا بالقرار ويتحمل تبعات القرار، أما الأكاديمي فلن يقرّر حتى تكتمل الصورة، وتتوفر كامل المعلومات والمتغيرات، ويقوم بعمل كل السيناريوهات الممكنة، ومن ثم يقوم بعمل القرار، وكثيرًا ما يتجاوز المدة المتاحة للقرار.

ما يمكن أن نستفيده من هذه المفارقة هو وضع الأكاديمي في مكانه، والتنفيذي في مكانه، وبخصوص الأشخاص فمهم أن تعلم كيف يمكن أن يفكر الشخص صاحب الخلفية المختلفة عنك لتستطيع التعامل معه.

وأخيرًا يجب على التنفيذي أن يستفيد من الميزة النسبية للأكاديميين، وهي الاهتمام بالتفاصيل صغيرها وكبيرها، وأيضًا يجب على الأكاديمي أن يتعلم من التنفيذي القدرة على الالتزام بالمواعيد، حيث إن القرار المتأخر يكون خاطئًا حتى ولو كان هو القرار الصحيح.

أسلوب التفكير

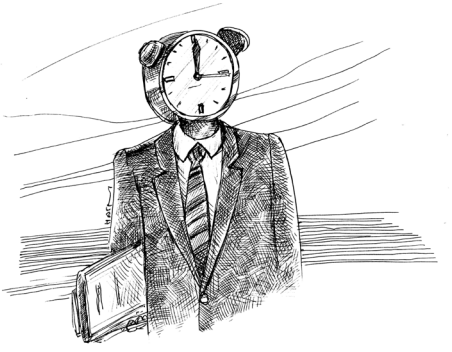

(لا تخف من الكمال، فلن تصل إليه أبداً)

الفنان الإسباني سلفادور دالي

من الطبيعي أن يقوّم الإنسان نفسه في نهاية كل مرحلة عمرية، وأيضًا كل مرحلة عملية أو أكاديمية أو خلافه، فتقويم الذات من أهم الوسائل التي تجعل من الإنسان يتطور، ودون هذا التقويم قد يقف الإنسان في نفس المكان أو نفس المرحلة، وقد يتقهقر للخلف ولا يشعر بذلك أو يصاب بالتكرار مما يجعله يقف في نفس المرحلة، وكما هو معلوم -بحكم تطور الدنيا كلها- فمَن يبقَ مكانه فسيموت معنويًّا وفكريًّا.

أنا من أنا؟ سؤال يسأله كل شخص عند نهاية أي مرحلة في حياته، هل أنا نفس الشخص قبل التجربة أم شخص مختلف؟ يجب أن يكون مختلفًا جدًا ويشعر بذلك، فطالب البكالوريوس يجب أن يختلف بعد البكالوريوس، وكذلك الماجستير، ومن يعمل في مجال لعدة سنوات يجب أن يتغير ويتطور، وكل خبرة وتجربة يجب أن تضيف، فالإنسان ما هو إلا مجموعة تجارب وخبرات.

ومن أهم النقاط المختلفة والتي لاحظتها في من ينهي هذه التجربة بنجاح:

- أسلوب التفكير، كما سبق ذكره: فالأكاديمي بطيء التفكير ولكنَّه دقيق ولا يترك أمرًا للصدف.
- الأكاديمي يهتم بخدمة المجتمع بشكل أكبر من التنفيذي.
- هدوء التفكير والقدرة على التركيز.
- الانخراط في مجال التعليم والاهتمام في هذا الجانب.
- الانخراط في البحث العلمي المتخصص.

وأزعم أن هذه الصفات ليست إلا صفات عامة ولا تنطبق على كل مَن أصبح أكاديميًّا بالضرورة، فهي صفات يُفترض أن تكون من خصائص الأكاديمي عالميًّا، فمَنْ لا تنطبق عليه هذه الصفات قد لا يكون في المكان المناسب، أو أنه شخص له صفات غير أكاديمية ولكنه أكاديمي، وهذه من الأخطاء الشائعة.

نتجاهل كثيرًا قدرات الأشخاص في تحديد التخصصات، وكذلك

في توجيه الأبناء، حيث إن صفات الشخص لها تأثير إيجابي على تحصيله وتطوره إذا اختير ما يناسب هذه الشخصية، وماعدا ذلك يكون من أسوأ القرارات، وهي أن يظل الشخص يعاني طوال حياته من عدم تطابقه الشخصي مع حياته العملية أو الأكاديمية. ذكر لي شخص يعمل في كبرى الشركات أنه يعمل بهذه الشركة لعشرين سنة وهو لا يعرف ما هي القيمة المضافة التي يضيفها! فهل لهذا أن يبدع؟!

تحديد هذه الصفات وانعكاسها على خبرات الشخص يجب أن تبدأ منذ الصغر، ولا يجوز تأخير هذا التقويم والبدء في توجيه الشخص قبل نهاية الثانوية العامة، فكم من الأشخاص مَن بدأ دراساته الجامعية واضطر للتحول إلى تخصص آخر بعد مرور سنوات في تخصص مختلف، لقد خسر هو والمجتمع من الموارد في سبيل هذا الخطأ الشيء الكثير، وهذا يتكرر كثيرًا.

التعلم الذاتي

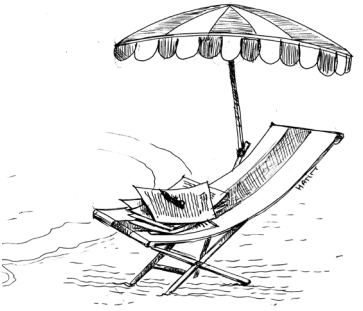

(لا يضيع شيء ذو قيمة إذا صرفنا الوقت الكافي في إتقانه)

أبراهام لينكون الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية

إن أسلوب التعليم يختلف من بلد إلى آخر بناءً على تصورات مختلَف الأنظمة والمجتمعات عن العملية التعليمية وأهدافها، ويبقى النظام العربي التلقيني من أسوأ الأنظمة التعليميَّة؛ حيث إنه يعتمد على تلقين المعلومة الجاهزة للطالب، وما عليه إلا حفظها وترديدها وكتابتها في ورقة الاختبار ليكون متميزًا، وهذا النظام لا يمكن أن يوجد لنا طالبًا متميزًا بأيِّ حال، ولا يمكن أن يطوِّر المجتمع.

العملية التعليمية التلقينية لن تخدم المجتمع، ولن تفيد الطلاب إذا استمرَّت ولم تتغير، لا شك أن هناك تجارب سعودية ناجحة وهناك نشاط لا ينكر في تطوير التعليم، ولكن نحتاج أن نسابق الزمن حتى نلحق بالركب، وهي الخطوة الأولى، ومن ثم نسبقه كما كنا في المقدمة.

يعتمد التعليم في بريطانيا في الدراسات العليا على الانخراط المباشر في العملية التعليمية، والاعتماد على قدرة الطالب في التحصيل من خلال نفس العملية، فالمحاضرات التعليمية محدودة جدًا، وتُعلِّم أقلَّ القليل في أساليب البحث، ويفترض من الطالب القراءة المكثفة والتعلم الذاتي، واستشارة المشرف عند اللزوم.

إن هناك بعض الطلبة يقضي سنة أو سنوات بلا تقدّم يذكر، فالنظام البريطاني يغرس فيك الرغبة في التعلم، ويتيح لك الفرصة الكاملة لذلك، ولكن لن يفرض عليك التعلم، بل هناك متابعة لتقدم الطالب في العملية، وقد يُستبعد من البرنامج إن لوحظ عدم تقدمه كما يجب.

هذا الأسلوب التعليمي يطلق القدرات الإبداعية عند الطالب، ولا يجعل للإبداع حدودًا، ويرفع مستوى التعليم عمومًا، فقد يظهر الطالب متفوقًا على معلميه، وهذه الفكرة التي يبني عليها النظام فلا يفترض أن يكون المعلم دائمًا أفضل، أو أنه سقفُ العلم، فهو الأمين على الحد الأدنى للتعلم ولا يوجد سقف أعلى، حتى علمه -أعني المُعلِّم- ليس سقفًا.

في خضم العملية التعليمية تكتشف مع الوقت أن هناك مسائل معينة أنت فيها كطالباً أفضل من المشرف، ولا يشعر المشرف فيها بغضاضة

أن يكون كذلك، على أساس أن ما تقوم به هدفه الأساس تطوير المعرفة في جانب محدد، ولا يعتبر من لم يضفْ شيئًا جديدًا قد حصل على الدكتوراه، وهنا تكمن المسألة، ومن هنا يتطور العلم والمعرفة.

وأعتقد أن في هذا النظام ميزة لصالح بعث الهمة في الطالب للتعلم والابتعاد عن التلقين، فشعور الطالب بأن المتوقع منه هو إضافة للمعرفة، وكذلك أن لا سقف للإبداع، يشجعه على المزيد من العمل والتطور.

إن تعلُّم المعرفة مهم، ولكن لأن المعرفة متجددة فلن يغني تعلمها عن تعلم وسائل الحصول على المعرفة، وهذا موطن التفرد في التعليم الغربي (ليس لديَّ علم بالشرقي، فالمقارنة بين الغربي والعربي) يبنى على أساس تعلم وسائل التحصيل وكيفية التعامل معها، لذلك فهم يركزون على المهارات أكثر من المعرفة ذاتها.

أمر ثالث يهتم به النظام التعليمي بالإضافة للمعرفة: المهارات والانضباط، وهو برأيي ما يكمل الشخصية البشرية؛ فمن يملك المعرفة والمهارات، وكذلك يكون منضبطًا ذاتيًّا يكون ذا شخصية متوازنة ومتكاملة.

أنت صاحب القرار

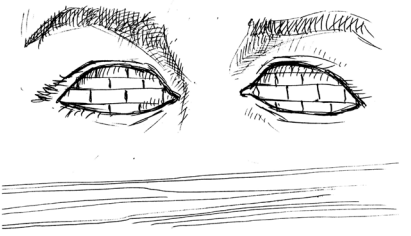

(يتميز الذكاء بالقدرة اللامحدودة على التفكيك وفق كل قانون، وعلى التركيب وفق كل نظام)

هنري برغسون

يكتشف الطالب في التجربة البريطانية أنه صاحب البحث، وله حق القرار الأخير في كل مفاصل البحث منذ اختيار التخصص العام والدقيق وجميع القرارات الرئيسة في البحث، فقد تعودنا في النظام التعليمي العربي أن التلقين أساس التعليم، ومهما حاولنا التملص -نحن الأشخاص- من تبعات هذا الأسلوب العقيم لم نفلح، فهو يلاحقنا في كل حياتنا، فنحن في الغالب نبحث عن الحلول الجاهزة والمعلبة للإجابة

على استفساراتنا، ويحتاج الطالب منا إلى وقت ليكتشف أنه صاحب القرار.

أذكر تحديدًا عند مناقشتي لتغيير عنوان بحثي بعد مرور سنة على بدء العملية برمّتها، فقد قالت لي المشرفة: إنه قرارك، ولكنه لا يدخل في اختصاصي فلك الخيار، إما أن تغير المشرف وتبحث عن مشرف آخر، أو أن نقوم سويًّا باختيار مشرف متخصص في مجال بحثك، ومن ثم يمكن أن أستمر معك في البحث، علماً أنه من الخطورة بمكان الاقتراح الأول؛ حيث يمكن للمشرف الجديد أن يلزمك لتبدأ من الصفر.

وفي نفس السياق عند نهاية البحث، إذا اقتنع المشرف ببحثك فيدعم تقدمك للمناقشة، وإذا لم يكن مقتنعًا فإنه يخيرك بأن تذهب للمناقشة بنفسك أي بدون دعمه، أو أن تقوم ببعض التعديلات ليقتنع، فهي المرحلة الأولى التي يجب تخطيها لكي تكون مؤهلًا بشكل كبير للحصول على الدكتوراه.

ما يراد قوله: إنك أنت صاحب القرار، ويجب أن تتحمل تبعات قراراتك في كثير من خطوات البحث، تكتشف أنه بحثك، ويجب أن تقرر أنت وأن تدافع عن قراراتك، أي أن تعلل اختياراتك تعليلاً علميًّا مقبولًا، ستقرر عنوان بحثك أي موضوعه الدقيق، وستقرر فرضياته، وستقرر طرق جمع بياناتك، وستقرر تحليلاتك، وستقرر نقاط ضعفه، وستقرر كلَّ شيء فيه، ويكون دور المشرف هو ضبط توازن البحث والمحافظة على الحد الأدنى من مستوى البحث علميًّا.

لذلك مما تتعلمه في العملية البحثية: القدرة على القرار علميًّا،

والقدرة على الدفاع عن قراراتك علميًّا، وذلك يرفع مستوى القدرة على تعلم الوسائل التعليمية المتاحة والمفاضلة بينها، ومعرفة أيها أنسب للاستخدام في الحالة المتاحة لديك.

دور المشرف

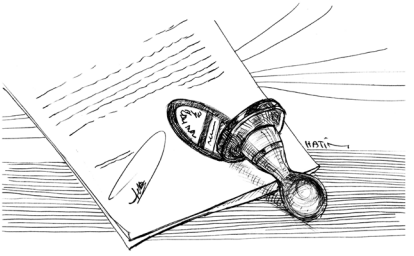

(يجب أن تخضع اكتشافات الحدس إلى المنطق، فالحدس في الحياة العادية كما في العلم من أقوى وسائل المعرفة، وهو من أخطر الوسائل أيضًا، ويصعب أحيانًا التمييز بينه وبين الوهم)

ألكيس كاريل

العلاقة التي بين المشرف والطالب مثل أي علاقة إنسانية تنشأ بين شخصين، علمًا بأن هناك حدودًا نظامية واضحة لطبيعة العلاقة، ويبقى للجانب الإنساني دور مهم في هذه العلاقة التي -بلا شك- تؤثر سلبًا أو إيجابًا على رحلة الدراسة، لذلك لا تستغرب عندما يكون أول سؤال يسأله طالب الدكتوراه لزميله هو: كيف مشرفك أو مشرفتك؟!

تبدأ العلاقة من قبل أن تبدأ، فمن جانب الطالب فهو -بلا شك- يبحث ويستفسر عن المشرف أو المشرفة قبل أن يحصل اللقاء الأول، ومن هذه الأسئلة المعتادة:

١- طبيعة المشرف النفسية؟

٢- علاقته مع الطلاب؟

٣- اهتماماته؟

٤- سمعته الأكاديمية، فلذلك تأثير كبير على مسيرتك التعليمية؟

٥- علاقته مع العرب؟

لنركز على السؤال الأخير، نحن العرب لدينا دائمًا اهتمام كبير في هذه النقطة، وكثيرًا ما تسمع أنه يحب العرب أو يكره العرب، وذلك -برأيي- مبالغة في غير محلها تُذكرني كثيرًا بالطالب غير المجتهد عند رسوبه؛ فعند سؤال الأهل لماذا رسبت؟ يكون الجواب عادة: أن المعلم لا يحبني! وكأن بينه وبين المعلم عداوة ثأرية قديمة، إنما هو أداؤه، فمن المعلوم بالضرورة أن المعلم يحب المجتهد، ويكره كل طالب غير مجتهد.

فبذلك يأتي الطالب عادة مشحونًا بما سمع إما إيجابًا أو سلبًا، وأعتقد أنها من الأخطاء الجسيمة التي يقع فيها الطلاب السعوديون تحديدًا.

أما المشرف فهو -بلا شك- يتأثر بتجاربه السابقة مع الطلاب من ذات الجنسية، فلذلك يؤثر عليك -على الأقل في البدء- الطالب السعودي السابق مع نفس المشرف، ولكن أجزم أن النظرة تتغير مباشرة بعد التقويم العادل في معظم الحالات.

وبعد اللقاء الأول تبدأ الخبرة المباشرة تتراكم وتتطور بين الطرفين،

وأعتقد أن الانطباع الأول دائماً ينعكس على التجربة برمتها، ولكن -ومن تجربة شخصية- وباطلاعي على التجارب المحيطة، يبقى دائماً الطالب هو من يقرر نوعية العلاقة، وهو من يبنيها البناء الصحيح أو الخاطئ.

وجدت أن من لديهم مشكلات بنسبة ٨٠٪ أو أكثر مع المشرفين هم من الطلاب الذين لديهم إشكال في تحصيلهم العلمي، عدا ذلك فالعلاقة ممتازة، ولا يعني ذلك عدم وجود صعوبات، فهذا استنتاج في غير محله، فلابد أن تكون هناك أخبار سيئة، مثل وجود الأخبار السعيدة.

مثال على ذلك، ومن تجربتي الشخصية، وفي خضم الانتهاء من إقرار خطة (المثودلوجي) وهي أسلوب جمع البيانات للبحث، وفي نقاشه الأخير، وهو على وشك النهاية، اقترحت مشرفتي الثانية أن أضيف طريقة (الفوكس قروب)[1]، طريقةً داعمةً لعناصر قياس محددات البحث، ودار نقاش طويل على قبول أو رفض هذا الاقتراح، وهناك أسباب علمية للإضافة، وكذلك لعدم الإضافة، وبعد نقاشات لمدة شهر كامل يجري الاتفاق على الإضافة، ونتيجةً لذلك جرى تأخر البحث سنة كاملة؛ حيث إن عمل (الفوكس قروب) وتحليله، وتعديل طريقة قياس محددات البحث تتطلب كل هذا الوقت، فهذا -بلا شك- خبر غير سعيد، وحملت كل ضغينة عرفتها في حياتي لهذه المشرفة ولكن بصوت صامت. لكن قد كان لهذه الإضافة وقع إيجابي

١- الفوكس قروب : مجموعات العصف الذهني لتحليل متغيرات البحث، وهي طريقة بحثية متبعة لتحديد متغيرات البحث، ولها أهداف أخرى.

على البحث في كل مراحله اللاحقة، فكانت الإضافة مثل صمام الأمان لكثير من المآخذ التي يمكن أن تؤخذ على البحث، وما أريد قوله: إن بناء علاقة إيجابية من البدء، وعدم وضع أي تصورات مسبقة عن المشرف له دورٌ إيجابي في تطور البحث، وانعكاس مهم لإنهاء البحث بشكل متميز، وأؤكد أن المشرف لا ولن يقوم بتلقينك البحث وأسسه وتقنياته، بل سيكون دورهم فقط التأكد على أنه في المسار الصحيح، وإذا شعر بوجود خطأ أو خروج عن مسار البحث سينبهك بأسلوب الأسئلة، ويطلب منك العودة إلى المراجع الصحيحة والتأكد مما قمتَ به، أي أنه يدلك على أين يمكن أن تجد المعلومة الصحيحة بدلًا من تلقينك لها.

وأيضا مهمٌّ أن تعلم أن المشرف في بعض الحالات لا يكون مُلمًّا إلمامًا كاملًا بكل ما تقوم به، فهو يتعلم معك بعض الجوانب الجديدة، فتكون مهمته التأكد أنك اتبعت الأساليب العلمية المعتمدة للحصول على المعلومة، مثال على ذلك: في البحث في عنصر الحضارة السعودية والإسلامية التي تعتبر أحد محددات بحثي، فقد كنت الخبير، وكانت مشرفتي الطالبة المجتهدة في هذا الجانب تحديدًا، فكانت تطلب مني المراجع المستخدمة لتتأكد أن ما أقوله لا يعتبر رأيًا شخصيًّا، أو رأيَ مجموعةٍ صغيرة. شكرتني مشرفتي مرارًا على استخدام هذه المحددات في بحثي، حيث إنها اعتبرت نفسها محظوظة لهذه الفرصة التي جعلت منها إلى حد كبير مطلعة على هذه الحضارة، وهنا تكمن قدرتهم ورغبتهم في التعلُّم في أيِّ سن، ومن أيِّ جزء من العالم، وبأيِّ أسلوب متاح.

وتحضرني في هذا الجانب قصة استثنائية، كنت أنتظر عند باب مكتب مشرفتي بناءً على موعد مسبق، وفي الوقت المحدد سلفًا خرج رجل ياباني الجنسية في الستينات من عمره، وألقى التحية وخرج وخلفه المشرفة، وقالت: تفضل، وعند دخولي قالت: أتعرف من هذا؟ قلت: إنها المرة الأولى التي أراه في الجامعة. قالت: هذا طالب جديد في ماجستير إدارة الأعمال، علمًا أنه مهندس في أحد التخصصات، وعندما سألته المشرفة: لماذا يتعلم الإدارة؟ قال لها: أعتقد أن الوقت مناسب لتغيير طبيعة عملي، فإني أدرس الآن الإدارة لرغبتي بتغيير وظيفتي من مهندس إلى وظيفة إدارية تنفيذية.

أذكركم بمن قال لي عند البدء في دراستي (لما شاب ودوه الكتاب)، هكذا نحن وكذلك هم، وانظر إلى مخرجاتنا ومخرجاتهم لتعلم لماذا وكيف يحدث هذا الفرق؟!

◆◆◆

تجربة المشرفتين

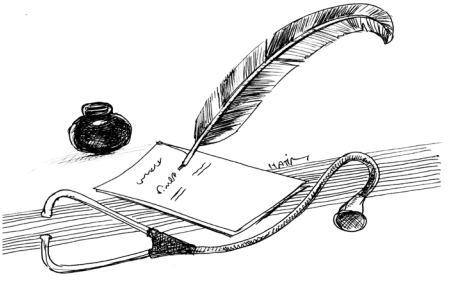

(الفائزون الحقيقيون في الحياة هم أولئك الناس الذين ينظرون لأي حدث وباستطاعتهم التأثير فيه وجعله أفضل)

باربرا بليتشر

يتطلب نظام الجامعة أن يكون لكل طالب مشرفان؛ لضمان الاستمرارية في حال حدثَ شيء لأحدهما فلا يضطر الطالب للبدء من الصفر في بحثه، وهناك أسباب علمية قوية لهذا النظام، وهو محترم ومقدر ومطبق في أعرق الجامعات، ولكن له مساوئه. لقد رزقني الله بمشرفة أولى ممتازة من كل الجوانب، ولكنَّ عيبها أنها ليست متخصصة في مجال بحثي الدقيق بسبب تغيير عنوان البحث بعد مرور سنة من البدء في الدراسة.

والمشرفة الثانية متخصصة، ولكن كما يقول السوريون: «بنص عقل» بشهادة الجميع، فهي باحثة متميزة جدًا، ولكنها تصاب بحالة من الجنون الذي يؤثر على قراراتها وعلى ردود أفعالها. وهناك تحليل قدمه الأخ الدكتور عبد الرحيم الغامدي، حيث إنها هي أيضًا مشرفته الثانية، ولكن لخصوصية هذا التحليل وأسبقية الدكتور الغامدي أحتفظ به.

لقد قامت مشرفتي الأولى بالطلب مني وبدافع التخصص أن أناقش دائمًا تفاصيل بحثي مع المشرفة الثانية، وكنت أقوم بذلك بشكل أسبوعي عن طريق الإيميل، وقد كانت في كثير من الأحيان وفي خضم النقاش العلمي الراقي تقول وبشكل مباشر: خالد! اذهب وأعدْ كل شيء، فكل ما قدمته خطأ! (وقد يكون ما تقصده عمل أشهر، وأكثر من خمسين صفحة من الكتابة)! وبكل بساطه ليس لديك منطق، خالد اذهب.

وبعد الخبرة واطلاعي على تحليل الدكتور عبد الرحيم أصبحت وبكل رحابة صدر أقول لها: حاضر، وأسألها بنفس الأسلوب المباشر: ما هي المشاكل في ما عملته؟ وتبدأ بالسرد، وأنا أكتب، ومن ثم أختفي عنها أسبوعًا واحدًا بالتحديد، ثم أعود بعد تعديلات بسيطة، ويتم قبول ما قدمت، أؤكد أنها من أميز الباحثين ولكن «بنص عقل».

ومما أذكره أيضًا أننا وصلنا أنا وهي إلى نقطة خلاف علمية بالبحث في آخر أشهر البحث، أي قبل المناقشة النهائية بحدود ستة أشهر، وفي حال قبول نقطتها أحتاج إلى سنة أخرى إضافية، فرفضت القبول برأيها نهائيًا، وأصررت على الاستمرار والتسليم بنفس تركيبة البحث.

وبعد طول عناء عدت إلى المشرفة الأولى، وهي المرجع الأساس في بحثي، ونظرًا لعدم تخصصها اقترحت الاستعانة بمحكم خارجي متخصص ليفصل بيننا، ومن حسن الحظ أيد رأيي مع بعض التعديلات والتي لا تتعدى شهرًا من العمل الإضافي، وقبلنا بما اقترحه المحكم.

وهنا تكمن العظمة في طريقة تفكيرهم، وهي أنها لم تأخذ الأمر بشكل شخصي، بل تقبلت الأمر ولم تعترف بالخطأ، وهذا غير مطلوب على كل حال، ولكن دعمت البحث بتعديلات المحكم.

بالرغم من التجربة وما فيها من صعوبات كانت لي كالخبرات، التي أعتقد أنها أضافت لي الكثير من حيث القدرة على التعامل مع هذه الظروف، والتي تكون عادة تحت ضغط نفسي كبير، وضغط في الوقت؛ حيث إن هناك ضغطًا من إدارة الجامعة على ضرورة الانتهاء في الوقت المحدد للبحث، ومن المناسب توضيح حرص إدارة الكلية والجامعة لإنهاء البحث في الوقت المحدد لأمرين رئيسيين:

أولًا: يجري تقويم الكلية بمعدل ما يقضيه طلاب الدكتوراه لإنهاء أبحاثهم، والمتوقع عادة ثلاث سنوات بحثية، إضافة إلى سنة تخصص لكتابة البحث.

ثانيًا: تحصل الجامعة رسومًا سنوية تقدر بـ (٧١٠٠) جنيه إسترليني سنويًا عن الثلاث سنوات الأولى فقط، ومن ثم (١٠٠) جنيه إسترليني فقط للسنة الرابعة وما يتبعها، ومن ثم تأخير الطلاب يضر بمصالح الكلية والجامعة الاقتصادية.

بكاء ونحيب

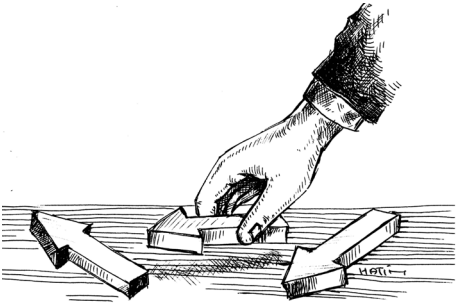

(لا يوجد إنسان ضعيف بل يوجد إنسان يجهل موطن قوَّته)

الأديب الروسي ليو تولستوي

يمر الطالب في حالات متباينة من الانفعالات في هذه التجربة الثرية، ومن أهم المؤثرات التي تلقي بظلالها على الطالب وتؤثر عليه بشكل قوي، هي تجارب الطلاب الآخرين، فمع الوقت تتكون لدى كل الطلاب علاقات قوية، وأيضًا اطلاع شبه كامل على تطورات بحث كل منهم، فهناك نقاش كل ستة أشهر لكل طالب بحضور كل الطلاب والمشرفين، ومن ثم يكون لديك معرفة شبه كاملة عن تطور

كل طالب، وبناءً على ذلك نكون على علم أن الطالب الفلاني سيقوم بمناقشة بحثه في غضون الشهر الحالي، علمًا أن الطلاب اعتادوا عدم الإبلاغ عن الموعد تحديدًا، والنظام البريطاني لا يقبل المناقشة المفتوحة، فيكون الحضور فقط للممتحن الخارجي (من خارج الجامعة)، والممتحن الداخلي (من داخل الجامعة) والمشرف، دون أي تدخل منه.

فعند إنهاء الطالب لمناقشته وتجاوزها بنجاح يُعلن ذلك على جميع الطلاب، ويكون لذلك تأثير إيجابي ومحفز قوي للبقية، وهذا ما كان يحصل في الغالب، حيث إن الطلاب الذين يتعثرون في العادة ولا يكملون حتى المناقشة؛ فهم يتركون الجامعة إما إلى جامعة أخرى، أو يوقفون المشروع برمته.

وفي أحد الأيام وأنا ذاهب إلى مكتبي في الجامعة كالمعتاد، فإذا بأحد الطلاب ممتقع الوجه، ونظراته زائغة، وتوتره غير طبيعي، وعند سؤالي: ماذا بك،على غير العادة؟ فهو شهير بابتسامة جميلة، ومحيا فرح في كل زمان ومكان، وله قبول غريب عجيب عند كل الطلاب والأساتذة.. فرد بأن طلب مني أن أدعو له، فقد أنهى الآن المناقشة وينتظر الممتحنين أن يوافوه بالنتيجة، والتي تأخذ عادة بين ربع ساعة إلى نصف ساعة حتى يخرجوا بالنتيجة، وكنت أطمئنه وهو يقول بأن المناقشة لم تكن على ما يرام، وبعد انتظار طويل ونظرًا لظرفه النفسي دخلت معه في أجواء القلق والترقب، وبعد المدة التي طالت طُلب منه الدخول لسماع النتيجة، وانتظرتُ بالخارج، وما هي إلا لحظات ويخرج وقد انفجر بالبكاء والنحيب والذي فعلًا يصيب الإنسان باليأس والقنوط، فقد

كان في وضع من الانهيار الغريب الذي قلما رأيت إنسانًا في هذا الوضع في حياتي، وبعد محاولات من قِبلي وقِبل المشرفين والعاملين في الكلية، استغرقت حوالي ربع ساعة للسيطرة على مشاعره وأحاسيسه ومحاولة تهدئته، قال لنا: إنه لم يحصل على الدكتوراه، وطُلب منه تعديلات جذرية في بحثه، قد تأخذ منه بين ستة أشهر إلى سنة، ويحتاج إلى إعادة المناقشة مرة أخرى.

وهذه الحالة بعُرف دراسة الدكتوراه تعتبر بكل المقاييس محبطة، وقد تجعل الطالب غير قادر على المواصلة، خاصة عند إيقاف البعثة عن الطالب مثل حالة صاحبنا (الطالب غير سعودي) وبدأ في بث شكواه بأنه لا يستطيع المواصلة بهذا الوضع، وقد يخسر مستقبله إلى الأبد!

ما حصل بعد إعادة ترتيب أوراقه أنه أنهى التعديلات في غضون أربعة أشهر، وتجاوز المحنة، وحصل على الدكتوراه، والآن يدرّس في إحدى الجامعات الخليجية المتميزة، ومتفوق بعمله، وأنهى مجموعة من الأبحاث، وحصل على ترقية أكاديمية، وأصبح أستاذًا مشاركًا.

مثل هذه الحالة تسبِّب في حينها من القلق الشيءَ الكثير، ويبدأ الطالب في وضع نفسه في مكان مَن حصلت له المشكلة، وقد يستفيد بأن يجتهد أكثر، ولكن -بلا شك- سيُصاب بالرهبة والخوف الذي قد يؤثر سلبًا على تحصيله، وهذا ما حصل معي، فقد كان لهذا الموقف تأثير سلبي على تركيزي، وخوف متزايد على ما يمكن أن يحصل لي في نهاية التجربة.

تبقَّى أن أقول: إن هناك عددًا ليس بالقليل ممن ترك الجامعة مبكرًا ولم يكمل الدراسة لأسباب مختلفة، وهذا أيضا يصيبك باليأس والخوف، والشاهد المهم بالقصة أنه لا يوجد فشل تام، بل هناك عوائق تحصل لكل إنسان، ومن يتعامل معها بشكل إيجابي يتجاوزها، ومن يتعامل معها وكأنها نهاية العالم يصاب بداء اليأس والقنوط، والنتيجة فشل مستمر.

تساقط الورق

(كل شيء في حركة مستمرة وتغيّر)

الفيلسوف اليوناني هرقليطس

المجتمعات الصغيرة مثل الكبيرة، ويتكوّن بينها نوع من العلاقات التي تحكم هذا المجتمع أو ذاك مهما كبر أو صغر، ومهما كانت مكونات هذا المجتمع فلا بد أن تنشأ هذه العلاقات حتى وإن كانت عناصره مختلفة في كل شيء؛ من العادات إلى الديانات يظل المجتمع مجتمعًا، ويظل يُحكم بعلاقات نظامية وغير نظامية تنشأ مع الوقت وتتطور حتى تكون جزءًا مكملًا لأي مجتمع.

في مجتمع الدراسات الأكاديمية تنشأ عادة علاقة أكاديمية بين الطلاب، وقد تتجاوز ذلك إلى علاقة إنسانية أو أخوية بينهم. وفي جامعة (قلاسقو) كان معدل طلاب الدكتوراه المنتظمين حوالي عشـرين طالبًا في كلية الإدارة، يزيـد أو ينقص، وتتكون هذه العلاقات المتشابكة المختلفـة ولكـن -بلا شك- هناك علاقة تنشأ أقلها أن تكون علاقة أكاديمية منها تجاذب بالجوانب العلمية المتعلقة بالأبحاث بين الطلاب، ومن الجدير بالملاحظة، أن هذه العلاقات تختلف من شخص إلى شخص، فمن علاقة لا تزيد عن سلام المجاملة، إلى علاقة أخوية تكاد تكون يومية اللقاء، ومستمرة التواصل.

بلا شك تؤثر خلفية الطالب الاجتماعية على نوعية هذه العلاقة، وتكاد تكون واضحةً وجليةً تلك الفروقات بين علاقة السعودي مع السعودي، والسعودي مع العربي، والسعودي مع الشرقي والغربي... الخ.

ولا تمر مدة إلا وينهي أحد الطلاب دراسته ويتخرج من الجامعة، ولهذا الأمر تأثير يتغير حسب علاقتك بالطالب، فمن الطلاب مَن يؤثر تخرجه عليك بشكل غريب لدرجة شعورك بالغربة من اختفائه من مكتبه، وأخص بذلك أخي الدكتور عبد الرحيم الغامدي، فقد شعرت بغيابه عن الجامعة بعد تخرجه بفراق عجيب، وبأثر سلبي مزعج لم أستطع التأقلم معه إلا بعد أن أنهيت دراستي التي كانت بعده بأشهر.

وبالمقابل هناك من تكون مغادرته بردًا وسلامًا، وبالأحرى لا تشعر به، وهم الطلاب الذين تكون العلاقة بهم أكاديمية بحتة، والاحتكاك

بهم محدود، ولكن تخرج أيٍّ من الطلاب يبقى حافزًا لك لسرعة الانتهاء، وطريقة توديع الطلاب لزملائهم أيضًا جديرة بالملاحظة، فهناك طالب يكتفي بإرسال إيميل توديعي، أو يعلق كرت موادعة على لوحة الإعلانات، وهناك مَن يؤثر المرور على الجميع والسلام عليهم وتوديعهم، تحليل هذا النوع من العلاقات ودراسته دراسة علمية قد يكون إضافة مهمة لعلم العلاقات الإنسانية، وما يحدث من هذا المجتمع الصغير من احترام متبادل جدير أن يطبق في المجتمعات الكبيرة.

وعن عمره فيما أفناه

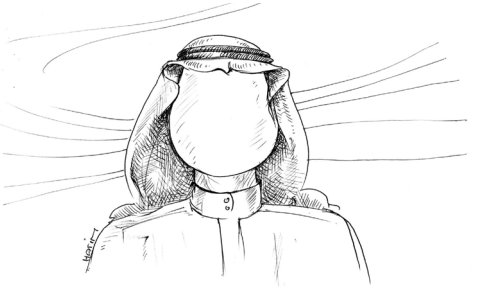

قال ﷺ:

(خيركم من طال عمره وحسن عمله)

حديث شريف

- كيف يحسب العمر؟
- هل يحسب بعدد السنين، أم بعدد الإنجازات، أم بإحساس الشخص؟

في الحديث الشريف قال الرسول -صلى الله عليه وسلم- (خيركم من طال عمره وحسن عمله) فهذه حقيقة بديعة، فمن اشتراطات ميزة طول العمر حسن العمل، ومن ثم عندما يُسأل الإنسان عن عمره

فحريٌّ به أن يقارن بين عدد السنين وبين إنجازاته وأعماله فيما يرضي الله، فمن الناس من يطول عمره ويبقى عمله محدودًا، فعلى ذلك يمكن قياس أيِّ عمل إن كان طويل المدة أو قصيرها، هل هو حسن أم غير ذلك، و ما هي انعكاساته على الإنسان والمجتمع.

هل الحصول على شهادة الدكتوراه يتوازى مع قضاء (٥ -١٠٪) من عمرك بها؟ سؤال مهم، والجواب عليه أهم، وحقيقةً لا يوجد جواب لهذا السؤال المهم حتى الآن، فبقدر أهمية شهادة الدكتوراه يساورني أحيانًا شك أن المدة أكبر من ما يجب، وأعتقد من ناحية عملية أنه يجب دمج فعاليات علمية أخرى مع دراسة الدكتوراه جزءاً مهماً من الدراسة، مثل التعليم والأبحاث وحضور المؤتمرات... وهذا يتم ولكن بشكل اجتهادي وليس إجباريًّا على كل الطلاب، فالاستفادة من الوقت بشكل أفضل ممكن جدًا.

ومن باب العدل تقوم الجامعة بالضغط على الطلاب لإنهاء الدكتوراه في ثلاث سنوات، ولكن المعدل هو من أربع إلى خمس سنوات، وهذا وقت طويل ومُمل، وهناك معلومة مهمة وهي أن دراسة الدكتوراه تحتاج إلى الوقت الطويل، فهي مثل الطبخة عند الاستعجال في إنهائها تؤثر سلبًا على التحصيل حتى وإن أنهى الطالب الدراسة، فلا أعتقد أن سنتين -مثلاً- كافية لإنهاء الدكتوراه بشكل صحيح ومتكامل.

فلذلك، أقترح دمج أكثر من عمل أكاديمي داخل برنامج الدكتوراه، وإبقاء المدة على أربع سنوات، ومن ثم تكون الاستفادة بشكل أكبر من المدة، ولا ينبغي الاستعجال في الانتهاء الذي قد يكون له تأثير سلبي على التحصيل العلمي.

عودةً لنفس السؤال: هل الاستفادة من الحصول على الشهادة يتساوى مع المدة المبذولة في الحصول على الشهادة؟ للجواب عن هذا السؤال أعتقد أننا نحتاج إلى إعادة صياغته بالشكل التالي:

هل لو عاد بي الزمان سأقوم بنفس القرار من حيث دراسة الدكتوراه؟ وللجواب عن السؤال، أقول: نعم، سأقرر نفس القرار مع بعض التعديلات التي لا تؤثر على أصله.

ما يجب أن يقوم به الشخص هو استثمار علمه في ما يخدم المجتمع، فلا يصح أن يكون الحصول على هذه الشهادة أو غيرها هو هدفاً بحد ذاته، بل يجب أن يستثمرها في مجتمعه، فما يستفيده المجتمع من الشخص هو ما يمكن أن نقيس به أهمية العمل والجهد الذي يقوم به أي شخص، فالحصول على الشهادة هو وسيلة وليس غاية بحد ذاته، ويجب أن يكون في سياقها الصحيح، وهي أنها وسيلة بحثية أكاديمية مميزة بعدها يبدأ العمل ولا ينتهي، وليس كما يفعل البعض بجعلها نهاية الطريق، فعندما ينتهي الطريق تقف الحياة، وإذا وقفت انتهيت، وهل هذا ما تريد؟

آخر سنة (سنة الكتابة)

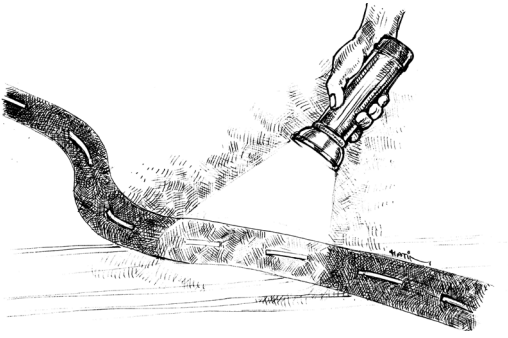

(لا أحد يكسب المجد وهو على فراش من ريش)

مثل تركي

كيف يمكن أن تبدأ النهاية فعلًا؟! البدء بالنهاية يثير الشجون، ويعيد التاريخ المليء بالوجوه والأحداث، ومراجعة الذات المتورطة في كل هذه الأيام، فقد كانت آخر سنة جميلة وممتعة ومتعبة ومشحونة؛ فأنت ترى خط النهاية يلوح من بعيد ولكنّك لن تصل إليه بسهولة، فكم مرة يتحول خط النهاية إلى خط من السراب! فقد جرى تحديد يوم التسليم عدة مرات محاولة لمسابقة الزمن، ونضطر في كل مرة إعادة

تحديد الموعد، موعد التسليم.

فسنة الكتابة -وهي السنة الأخيرة- يكون الطالب قد قام بكل ما هو مطلوب منه، حيث يكون قد جمع كل الأدبيات المرتبطة بالموضوع، وحدد بناء البحث، وحدد طريقة جمع البيانات وجَمَعَها وحللها، وظهرت نتائج البحث، وبقي فقط جمع كل هذه العناصر وإعادة كتابتها بشكل علمي متسق متناسق لمناقشتها في الرسالة.

يقوم الطالب -عادة- بإعادة الكتابة عدة مرات، ليصل إلى الشكل النهائي للبحث، يشطب ويكتب، يحذف ويضيف للبحث ليصل للنهاية، ويبقى جمع خيوط البحث ووضعه في سياقه العلمي الصحيح مسألة فيها كثير من الجهد والتركيز، وهذا السياق العلمي الصحيح ليس له شكل واحد أو طريقة واحدة، فكم من النقاشات تجري في تقديم جزء على آخر، أو تعديل في شكل جزء من البحث، أو إلغاء بعض الأجزاء التي تكون قد أخذت منك كثيرًا من الجهد والوقت، ويعز عليك حذفها بسهولة.

يتوقع أن يكون البحث بحدود سبعين إلى تسعين ألف كلمة في جامعة (قلاسقو)، أي حوالي ثلاثمائة صفحة تزيد أو تنقص، ولكن المشكلة في النهاية أن ما يتوافر لديك من مادة أكثر بكثير من الحجم المتاح. كنت أعتقد أن هذا الرقم وُضع لدفع الطلاب لكتابة المزيد، وبعد التجربة اكتشفت أنه في غالب الأحيان كبح لجماح الزيادة في البحث، وأنك تحتاج إلى موافقة لزيادة الصفحات عن هذا الحد.

في سنة الكتابة الأخيرة يبدأ الطالب بالشعور فعلًا أنه وصل إلى

مستوى جيد من المعرفة، ويشعر بالثقة وبالمتعة في التعديلات في بحثه ما دامت لا تمسّ أصل البحث، ولا تسبب إشكالات علمية، فالتقديم والتأخير وإعادة الصياغة هي تجربة ممتعة لا تزيد الطالب إلا ثقة في نفسه وبمستوى عمله، وأيضاً في هذه السنة يُشعرك المشرفون وإدارة الجامعة بأنك من أكثرهم معرفة بموضوعك، ويُضفون عليك حُلَّة الثقة، وأنك المرجع في هذه المسألة، وهو شعور رائع يهيئ لحقبة جديدة لحياتك الأكاديمية. ومن الأهمية الانتباه إلى أن هذا السنة هي سنة واحدة فقط، ومطلوبٌ منك أن تنهي بحثك في الوقت المناسب، فأنت في سباق مع الزمن، والشعور بقرب النهاية يحفزك للعمل بجد، ويدفعك بقوة للعمل بجد، وتبقى -في تقديري- السنة الأخيرة هي أكثر السنوات متعة أكاديميًّا. ومن المفارقات أنك في هذه السنة تشعر أن السنة قصيرة جدًا، أقصر من أيَّة سنة أخرى، يرحل اليوم والشهر فيها سريعًا سريعًا، كأنما يسابقك!

وجدير بالقول أن حجمًا كبيرًا من المشاعر يختلط في هذه السنة، ومستوى عالٍ من التناقض يتكوّن، بين الثقة والشك تبقى كثير من المسائل معلقة، وبين الفرح والغضب تستقبل آخر التعليقات العلمية.

إنك تحتاج إلى شحذ كل مهاراتك ودفعها بالاتجاه الصحيح، واستخدامها الاستخدام الأمثل لتحقيق النهاية السعيدة، هي سعيدة، وما يزيدها سعادة الجهد المبذول، والانتصار على الذات والظروف والألم.

◆◆◆

أخلاقيات البحث

(إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا)

أحمد شوقي

كيف يمكن أن تكون أخلاق الباحث، وكيف يجب أن يكون البحث أخلاقيًا؟ هي مسألة فيها الشيء الكبير من الأهمية، فلكل عمل في الدنيا أخلاقيات؛ منها ما له علاقة بالدين ومنها ما له شأن بكيفية التعامل مع مفاصل البحث دون أن يكون هناك تصرف قد يسيء لأي إنسان أو جهة أو فئة، فالاهتمام بهذه الجوانب من إيجابيات الدُّور العلمية الأوروبية، فهم يولون هذه المسألة اهتمامًا كبيرًا، ويحاولون غرسها في

الباحث غرسًا حتى تكون من ضمن أخلاقياته الطبيعية، ومن المعروف أن هناك عنصرًا سهل التجاوز فيها، ويصعب كشف هذا التجاوز، وهو جمع البيانات، فقد يقوم الباحث بجمع البيانات بطريقة خاطئة ومقصودة لتوصله للنتيجة التي يفترضها في بحثه،

وللأسف هناك من يقوم بذلك، فأيّ جرم يقوم به من فعل ذلك؟! فرسولنا الكريم -صلى الله عليه وسلم- يقول: (من غشنا فليس منا). أما ما يشترطه النظام فهو نظام يضمن حق الأقليات والمحتاجين بأن لا يسيء لهم باسم البحث، ولا يكون البحث سببًا لاستغلالهم ماديًّا أو معنويًّا. فإن كان البحث طبيًّا مثلًا، فلا يجوز أن تعمل التجارب على الفقراء باستغلال حاجتهم المادية أو المرض باستغلال شغفهم للعلاج، وعلى ذلك فمن اشتراطات إنهاء البحث تعبئة نموذج تعرِض فيه طريقة جمع بياناتك وأسلوبه بما يتفق مع الاشتراطات الأخلاقية للجامعة، فلا يصح أن يجري بحثك بشكل يسيء لأقليات معينه مثلًا، ولا يجوز إعطاء مال للمستقصى بياناتهم، وما إلى ذلك من الاشتراطات، وفي نقاش هذه المسألة مع مشرفتي قالت: إن من أغرب الحالات غير الأخلاقية التي واجهتها في الجامعة هي رغبة طالبة لدراسة أسباب توجه الرجال المتزوجين للباغيات، ودفع الأموال الكثيرة للجلوس معهن لساعات محدودة وتكرُّر ذلك، وفي هذا السياق تقدمتْ بأسلوب جمع البيانات على أساس أنها ستتقمص شخصية إحداهنّ، ومقابلة الرجال ومن ثم محاولة استدراجهم لتعرف أسباب حضورهم للباغيات علمًا أن الجامعة لم تقبل هذا الأسلوب ورفضته.

المُهم هو أن أخلاقيات جمع البيانات في البحوث مكفولة في نظام

الجامعة، وهو مدعاة للفخر لحرص هؤلاء القوم على أخلاقيات المهن أيًّا كانت، فلا يسوِّغ العلم تجاوز الأخلاقيات، وهذه من العناصر التي يجب أن تُغرس فينا نحن، فتجربتي في إحدى الجامعات السعودية مع الطلاب لا تسرّ على الإطلاق، فهم يستغلون أي فرصة للغش، ويقومون بذلك بشكلٍ يدعو للأسى والأسف، فما قيمة الشهادة بلا علم؟!

ولا أنسى القصة المشهورة في إحدى جامعاتنا، حيث اعتاد الطلاب على إعادة استخدام الأبحاث الخاصة بالطلاب السابقين وكأنها من عملهم، وقد تخرج طالب من هذه الجامعة وابتُعث وعاد ليدرِّس في نفس الجامعة، وفوجئ بأحد بحوثه يُقدم له من أحد طلابه، فقد تناقله الطلاب جيلاً عن جيل حتى عادت البضاعة إلى صاحبها!

المناقشة التجريبية

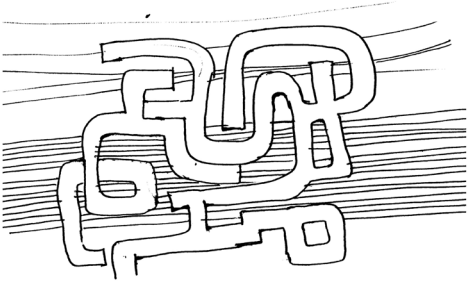

(من بين الأشياء التي لا علم لنا بها، ثمة ما نعتقده بناءً على شهادة غيرنا وهو ما نسميه إيماناً، وثمة ما نؤجل حكمنا عليه بعد التحقيق وقبله، وهو ما نسميه شكًّا، وحين نميل إلى هذه الجهة أو تلك دون أن نحدد شيئاً بشكل مطلقٍ، فإننا نسمي ذلك رأياً)

بوسويه

التجربة وتكرارها يسهِّل ما بعدها، فكثيراً ما تنزع التجربة الضغوط وعنصر المفاجأة من أصلها. منذ بدء الدراسة وقضية المناقشة النهائية محور الحديث بين الطلاب والمشرفين، وهي بحق هاجس لا ينفك أن يثير الرهبة في قلوب الطلاب حيث تعدُّ محور العملية برمتها، إنها الشبح الأخير، لذلك يعطى الطالب دائمًا نصائح من قبل أصحاب التجربة ومن المشرفين -كأنها دواء يُسكِّن الطلاب- عن كيفية التعامل

مع المناقشة لدرجة تشعرك بالقلق. علمًا أن الهدف من تكرار النصح هو تخفيف القلق، لذلك اقترحت إدارة الكلية أن يكون من حق الطالب عمل مناقشة تجريبية تخفف هذا الضغط وتسهل المناقشة الحقيقية.

بعد الانتهاء النهائي من البحث وكتابته وقبل الإعداد للمناقشة اقترحتْ عليَّ المشرفة عمل مناقشة تجريبية (موكا ڤايڤا)، وهي مطابقة للحقيقة عدا أنها لا يُعتدُّ بها، والممتحنون فيها ليسوا هم أنفسهم الذين سيقومون بالمناقشة الحقيقية، وقد وافقتُ مباشرةً على الاقتراح، وهو حق مكتسب لكل الطلاب، وللطالب الخيار في استخدام الحق من عدمه.

الإعداد للمناقشة التجريبية هو مطابق للإعداد للمناقشة الحقيقية، ويُتوقع منك نفس الأداء، ومن ثم أخذَ الإعداد لها من الوقت قرابة الشهرين، وبها من الضغوط ما بها، ولكن -بلا شك- ليست مثل الحقيقية من ناحية حجم الضغوط.

جرت المناقشة التجريبية وكانت جدًا مفيدة باكتشاف ملاحظة أكاديمية ربما كانت مؤثرة سلبًا في المناقشة الحقيقية وحصل تداركها، ولكن بالإجمال هناك ثلاث فوائد رئيسة:

١- انخفاض الضغط النفسي على الطالب وتقليل المفاجأة.

٢- التنبيه للملاحظات الأكاديمية الرئيسة.

٣- وكذلك تساعد على التنبؤ بنوعية أسئلة المناقشة.

فهي مفيدة في كل الحالات، وأرى أنها أسهمت بشكل كبيرٍ في تسهيل المناقشة الحقيقية، فلذلك أنصح كلَّ من يمرّ بنفس التجربة،

وتكون هناك فرصة لعمل المناقشة التجريبية أن يقوم بها، فهي مثل من يقوم بتجربة المحاضرات قبل تقديمها.

التجربة دائماً مفيدة، لأنها تكشفنا كمرآة، وتسهل الوصول إلى الهدف، فالثقة مطلوبة ولكن هناك وسائل تساعد على أن تكون الثقة بالنفس في محلها، فلا يقلّلن أحد من الاستعداد بداعي الثقة.

المناقشة الحقيقية

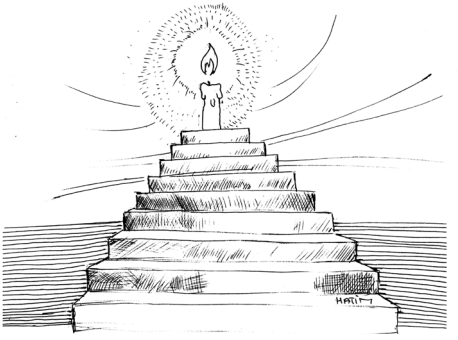

(من يبدأ بالحلم أو الجنون يعرف أين يسير: إلى الجنون أو إلى الحلم، أما التفكير فهو يلقي بنا في مجاهل المغامرة)

جيلبرت سنوية

ساعة الحقيقة تظهر الحقيقة ساطعة كالشمس في رابعة الضحى، وساعة الحقيقة يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، وساعة الحقيقة يرى ما لم يكن يرى، إنها حقاً ساعة الحقيقة لم تكن تجربة عادية أو عابرة على الإطلاق، وأحب أن أوضح أن تجربة المناقشة البريطانية (أخصص هنا لعدم إلمامي إلمامًا كاملًا بغيرها) فعلًا ليست سهلة، وفيها من الضغط النفسي ما لم أجربه في غيرها أكاديميًّا.

يبدأ الاضطراب بعد تسليم البحث مباشرة للمناقشة، وفي انتظار تحديد الموعد للمناقشة، وهو في العادة بين شهر إلى شهرين ليكون لدى المشرفين فرصة لقراءة كامل البحث والتجهيز لمناقشته.

أذكر أحد الزملاء السعوديين وهو في لحظة الانتظار نفسها يقول: إن والدته تقول له: «يا ولدي مُرَّ كل يوم أمام مكتب المشرف ليتذكرك، أخشى أن يكونوا نسوك».

حقاً كانت لحظات الانتظار قاتلة، تُصيبك بالهوس، ولا أبالغ إن قلت: إنك تصاب بهوس فتح الإيميل المتكرر بانتظار وصول موعد المناقشة، ويزداد التوتر عند الإيميل (البريد الإلكتروني) الشهير، الذي يحدد موعد المناقشة ومكانها، وفعلًا يبدأ الوقت يتحرك ببطءٍ شديد، وتتمنى أن يمر بسرعة حتى تنتهي من هذا الكابوس، وهو كابوس بحق، فكم من القصص المُربكة التي حدثت في هكذا نقاشات؟! إنه أمر لا يتباهى به الطالب.

مرّت اللحظات ولم تمر؛ فدقائق الانتظار قاتلة، وحساب الوقت يختلف، وماذا تفعل؟ وماذا تقرأ؟ وماذا تجهز؟ كلها أسئلة مفتوحة على مصراعيها في هذه اللحظات.

قمت بالتحضير كما يجب، وجهزت نفسي لكل الاحتمالات حتى لاحتمال الفشل، لا قدَّر الله.

هناك أساليب في الإعداد متبعة، وهي الحصول على الأسئلة التقليدية التي عادة تُسأل في هذه المناقشات، وهي موجودة في مواقع الطلاب، وكذلك الكتب المتخصصة بالإعداد والمناقشات.

انتظرت كثيرًا ليلة المناقشة، ومن أكثر المنغصات أنني كنت على رأس العمل، ومن ثم لا يوجد من يشعر بإحساسك وبخاصةً أنني -كما هي العادة- أخفيتُ موعد المناقشة إلا على زوجتي؛ لتقليل التوتر.

وفي ليلة المناقشة وصل التوتر حدَّه الأعلى، وقد كنت جهزت للمناقشة من حيث مراجعة البحث عدة مرات، والاطلاع على مجموعة من الأسئلة المتداولة عن ماهية الأسئلة المعتادة التي تتكرر في المناقشات، ونمت مبكرًا واستيقظت مبكرًا، وبدأت بصلاة الفجر، ومن ثم الاستعداد واللبس، حيث يفضل أن تكون الملابس رسمية لتعطي انطباعًا إيجابيًّا عنك لدى المتحنين، وتظهر جديتك في التعامل مع المناقشة، ولم أقم بأية مراجعة صباحًا، كما أنصح دائمًا بأن المراجعة في آخر اللحظات قد تؤثر على تركيز الشخص، ومرت الساعات حتى الساعة التاسعة وهي ساعة البدء في المناقشة، استمرت المناقشة حوالي ثلاث ساعات، وكانت الأسئلة تقليدية من حيث إنها متطابقة إلى حد كبيرٍ مع الأسئلة المعتادة، وأعتقد أنني أبليت بلاءً حسنًا، وبدا ذلك جليًا بعد مرور الساعة الأولى، فقد استشعرت رضا الممتحنين، واستشعرتُ البدء بالمناقشات الفكرية وبخاصة في منطقة الخلفيات الحضارية للمسلمين والسعوديين تحديدًا.

الممتحن الخارجي كان له دراسات كثيرة عن المسلمين وأسلوبهم في الأكل الحلال، وتسويق هذه المنتجات في الأسواق الأوروبية، ولذلك كثر النقاش في هذه المسائل التي -بلا شك- قد أكون متفوقًا عليهم فيها بحكم الخلفية الثقافية والعملية. استمتعت كثيرًا بالمناقشة، وتذكرت قول المشرفة دائمًا: بأنك أقدر من يناقش بحثك، وإن استشعر الممتحنون

ضعفًا لديك سيضغطون عليك، وإن شعروا بارتياحك ومعرفتك بتفاصيل البحث سيدفعون مستوى النقاش إلى نقاش الند للند، ومن ثم ستجد نفسك مرتاحًا للمناقشة، وهذا ما حصل معي، فقد مرت الثلاث ساعات ولم أشعر بها مع رغبتي بانتهائها، فلم أتضايق من طولها.

وفي نهايتها طُلب مني الخروج؛ للمناقشة بين الممتحنين، وتحدَّيد النتيجة، وقد استغرقت المناقشة بينهم بحدود ربع ساعة، وكانت المشرفة التي حضرت المناقشة سعيدة، وقالت لحظة خروجنا أنا وهي من المناقشة بأني كنت في وضع حسن، وتوقعت أن النتيجة ستكون ممتازة. كان الانتظار لخمس عشرة دقيقة طويلًا نسبيًّا، ولكن شعـور الارتياح كان موجودًا، وقد أكدت المشرفة أكثر من مرة أنها مرتاحة للمناقشة جدًا.

أستدعيت للنتيجة، وبعد الافتتاح مرة أخرى والترحيب وإبلاغي بالنتيجة كانت لحظات يشوبها الحذر، ولكن -وبفضل الله- حصلتُ على الشهادة مع تعديلات يسيرة لا تتعدى الأسبوعين، وهي أقل ما يمكن أن يحقق من تعديلات، فلله الحمد من قبل ومن بعد.

عند نطق النتيجة وقيام رئيس المناقشة والممتحنين بالتهنئة، سقط حملٌ نفسي ثقيل عن ظهري، وسقط معه وانتهى للأبد كل الجهد والسهر والتعب، وبقي فقط طعم ولذة النجاح، فلذة النجاح كفيلة بالتعويض عن كل اللحظات المتعبة، إنها لحظة قطف الثمرة بعد التعب المتواصل منذ البذرة حتى القطاف.

وداع الأحبة والحبيبة

(ودع هريرة إن الركبَ مُرتحلُ وهل تطيق وداعاً أيها الرجل؟!)

الأعشى

لحظات الوداع دائمًا حزينة، مُثقلة بالبكاء، يشتكي منها الأحبة، ويبكي منها العشاق، ولها في القلب علامات وتأثير، عند الوداع يتمنى المحب أن يعود أدراجه ويتأخر خطوةً للوراء، لبسمةٍ قديمة، لحكايةٍ لم تتم بعد، لقصة نسي الصديق أن يكملها، الفراق عن (قلاسقو) المدينة التي أحببتها، إن لم أكن قد عشقتها.

ما خفف عني هذا الوداع المرّ هو أني أودع حبيبة للقاء من هي أحب

منها، أغادر من (قلاسقو) إلى (الرياض)، وأودع أشخاصًا أحببتهم ونادمتهم إلى أناس هم أهلي وخاصتي، ولكن تبقى للوداع وحشة، ويبقى في القلب جرحٌ من فقد (قلاسقو) الحبيبة.

كنت في كل مغادرة لها سابقًا في أثناء الدراسة أطمئن قلبي بأني سأعود إليها قريبًا، وهكذا دائمًا يكون، ولكن في هذا الوداع لم أتمكن من طمأنة النفس، ولم أستطع وعدها بأني سأعود إليها، حتى لو عدت أعتقد أنني لن أتمكن من استعادة الأجواء والحياة التي عايشتها، فستبقى تجربة أخرى جديدة ليست هي التجربة ذاتها، ولا هي (قلاسقو) التي أحببت!

كانت آخر اللحظات جميلة وحزينة، فقد اعتدت على الجو العام، وشعرت بقرب فقدي لمجموعة من الأحبة الذين تعرفت عليهم في (قلاسقو) علمًا أن أكثرهم من السعوديين، ومن ثم سأظل على تواصل معهم، ولكن تبقى وحدة الزمان والمكان والهدف يجمعنا بشكل أكثر التصاقًا وقربًا وسهولة، بينما في السعودية (وهذا ما حدث) سيكون التواصل بشكل أقل، وربما لا يحصل في كثير من الحالات. كان الوداع بالفعل عزيزًا على النفس، وله تأثير على المشاعر، ولكن لكل بداية نهاية.

بدأت أجهز نفسي للسفر الأخير إلى السعودية، عدا زيارة أخيرة لحضور حفل التخرج، وعند فرز أوراق المكتب لإخلائه بدأت أتخلص مع كل ورقة على ذكرى عزيزة، ووجدت أن إخلاء المكان ليس من السهولة، فقد زاد الحمل، وبدأت إعادة ترتيب أولويات الحمولة، وتخلصت من الكثير من الأوراق والمذكرات.

وفي غمرة توديع الزملاء والأحبة اكتشفت أمرًا غريبًا، وهو ما أوحى لي بالرغبة في كتابة هذا الكتاب، اكتشفتُ عدم ارتياح كامل وتجربة مختلطة بأن لي حبيبة لم أكتشف حبي لها إلا عند الرحيل وفقدها، اكتشفت أني أحببت (قلاسقو) المدينة الأسكتلندية العريقة، وشعرت بغربة قاسية لتركها بشكلٍ نهائي، وبدأ شريط الذكريات يعود لأول زيارة وتعدد زياراتي، ولكل مكان زرته في أنحائها، ولكل حبيب عرفته في أرجائها، وحقاً وجدت أن لـ (قلاسقو) وأهلها الطيبين مكانًا في قلبي.

أقول للتاريخ: إني دخلت المدينة وخرجت منها ولم يحصل أن شعرت بمن يعاملني كغريب، ولا شعرت بمن يشعر بأني مستفز له، أو أن وجودي يخلق فيه الضيق.

فالترحيب والاستقبال الحسن وجدته في كل زاوية وكل مطعم وكل مكتب وكل مقهى وكل قسم في الجامعة، وأخيرًا وليس آخرًا في قسم الشرطة! فالنظام في بريطانيا يتطلب التسجيل في قسم الشرطة، ووضع كامل معلوماتك فيه على أن تجدد هذا التسجيل كل سنة، وحدث أني لم أقم بالتجديد في إحدى السنوات بسبب كثرة الأشغال وتأخرت بحدود السنة، ذهبت للشرطة وقلت لهم: إنني لم أقم بالتجديد، وتأخرت لمدة سنة؛ فقرأت عليَّ المسئولة ورقة بأن النظام يحتم أن أقوم بدفع غرامة كبيرة لهذا التأخير، ولكن تقديرًا منهم لي فقد حصل التجاوز عن الغرامة وجرى التجديد.

وعند سؤالي عن السبب من بعض الزملاء أفادوا أنهم يتجاوزون عن الغرامة تقريبًا للجميع نوع من ترغيب الطلاب للحضور للمدينة،

فهم مهتمون بوجودنا في مدينتهم لأننا ندعم اقتصادهم، هل يمكن أن تجد رجل بوليس أو قسم بوليس في أي بلد عربي يفكر بهذه الطريقة؟!

وأعتذر لـ (قلاسقو) الحبيبة بأني لست بشاعر، ولذلك أعتذر عن نظم قصيدة حب وإعجاب وغرام بها، فقد أحببتها حتى الثمالة، وأشكر أهلها على حسن استقبالهم لي ولزملائي فقد أخجلونا بحسن أدبهم وتعاملهم.

ومن باب ذكر حسن التعامل، كنا -نحن السعوديين- جلوسًا في مجموعة نتحدث عن تعامل الأسكتلنديين معنا، فسألتهم سؤالًا: من منكم سبق أن حصلت له مضايقة من أي من المواطنين الأسكتلنديين في فترة وجودنا فيها؟ وبعد نقاش طويل قال أحدهم: إنه في إحدى المرات وهو خارج من مطعم دخل شاب أسكتلندي وهو في حالة غير طبيعية، وصرخ عليه: أيها العربي الحقير أو ما شابه، وهذه كل الحكاية، فلم يضربه ولم يضايقه وكان في وضع غير طبيعي.

وعندها سألتهم سؤالًا ثانيًا، وأسأله للقارئ: من لم ير أجنبيًّا يساء إليه في بلدنا؟ فاتفق الجميع بأنهم جميعًا شاهدوا حالات من التجاوزات والإساءات للأجانب بجميع أطيافهم! فالسؤال المطروح: من منَّا الأولى بحسن التعامل مع الضيوف؟

◆◆◆

الفرح الإيطالي والفرح الأسكتلندي

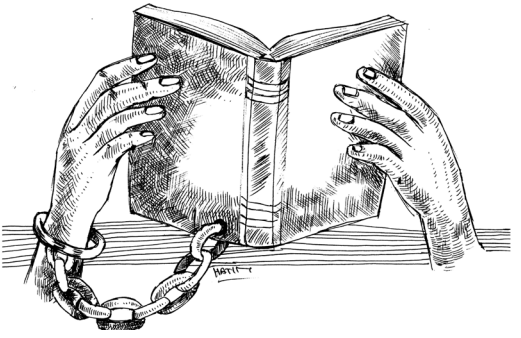

(وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)

القرآن الكريم

كما سبق أن وذكرت في فوائد السفر بأن التعرف على عادات الشعوب من أهم الفوائد التي يختلف مستوى التحصيل فيها من شخص لآخر، وفي المدن المختلطة الأعراق يكون التحصيل والاستفادة في هذا الجانب بشكل متميز. جامعة (قلاسقو) متميزة في هذا الجانب، فطلابها مجتمعون من أكثر من مائة دولة من العالم، فهي -بلا شك- عالمية المجتمع، ومن ثم مفيدة بامتياز في هذا الجانب.

وجميل أن ترى الاختلاف في التفاعلات بين مختلف المشارب والملل، ومن ذلك ترى البرود البريطاني والأسكتلندي تحديدًا في أعلى مستوى، وفي المقابل ترى الحرارة العربية في التفاعلات وردود الأفعال، ويلاحظ أن بعض دول أوروبا فيها تشابه في هذا الجانب تحديدًا مثل إيطاليا وإسبانيا واليونان، فهم يظهرون انفعالاتهم بطريقة قريبة من الأسلوب العربي.

ولي تجربة في هذا الجانب، فعند خروجي مباشرة من مناقشة الدكتوراه وحصولي عليها تكاد الدنيا لا تتسع لي من الفرح والسعادة، فهي لحظة استثنائية بكل المقاييس، ذهبت مباشرةً إلى المكتب لأجري الاتصال الأول بالوالدة وأبشرها بالنتيجة، وإذا بزميلتي الأسكتلندية في المكتب -وكنا أربعة في نفس المكتب- جالسة وظهرها باتجاهي، فقلت لها من باب الزمالة بأني أنهيت المناقشة بنجاح، حيث إننا في نفس المكتب، فيكون اللقاء شبه يومي، فالتفتت بكل برود الدنيا ولم تتحرك من الكرسي، ولم ترفع أناملها من (الكي بورد) الخاص بحاسبها الآلي، وقالت: «مبروك»! وعادت بنظرها إلى الكمبيوتر وكأني قلت لها بأني وصلت للتو من السكن فقالت: مبروك، من باب الدعابة، فلم أشعر ولا للحظة بأن الأمر مهم أو استثنائي.

بالمقابل هناك طالبة إيطالية اشتركتُ معها بالمشرفة فقط، وهي بمكتب في دور آخر، ولم ألتقِ بها إلا مرات محدودة جدًا، وغالبًا ما يكون في مكتب المشرفة، ومن باب الزمالة مررتُ على مكتبها هي وبعض الزملاء الذين يشتركون معها في المكتب، وأبلغتهم بالخبر، فقفزت من الكرسي، وصارت تقفز وتصرخ: «مبروك! مبروك!

مبروك!» بطريقة وأسلوب جعلني أستغرب كيف بقدرته -سبحانه- أن يجعل هذه الفروق بين البشر. واستمرت الاختلافات بين الطلاب مع اختلاف مشاربهم في طريقة تفاعلهم مع الخبر تزيد وتنقص؛ فحرارة التفاعل تتحدد حسب خلفية الشخص وبلده، ومثال آخر: هناك بعض الطلاب ينهي دراسته ولا يكلف نفسه بإرسال إيميل لإبلاغ زملائه، فقد افتقدت طالبة صينية زميلة لنا في المكتب، حيث إنها -وبالنظام الصيني- لا تخرج من المكتب نهائيًّا، فهي تأكل وتشرب وتضع بعض ملابسها داخل المكتب، وعند اختفائها بشكل مفاجئ وسؤالي عنها قالوا: إنها أنهت دراستها وغادرت الجامعة، وكأنها كانت في فندق وأنهت عملها وغادرت!

◆◆◆

الدراسة خارج الصندوق

(إذا كان التاريخ يعيد نفسه وما هو غير متوقع دائماً يحدث،
فكم يبدو الإنسان غير أهل للتعلم من التجربة)
برنارد شو

الدراسة لها أشكال مختلفة من حيث الزمان والمكان والكيفية، فهناك من يفضّلها صباحًا ومنهم من يفضلها مساءً، وهناك من يفضلها في المنزل ومنهم من يفضلها في المكتبة، أما الطريقة فمنهم مَنْ يفضل المشي، ومنهم من يفضل الانبطاح التام وما إلى ذلك من أشكال وألوان من الطرق المختلفة.

تكوّن لديّ في سنواتي العملية حب القراءة في المقاهي (الكوفي شوب)،

وهي عادة قديمة لدي، ولكن الجديد هو أني أصبحت أفضّل القراءة في المقاهي العامة حتى ولو ارتفع الضجيج فيها، وعند بدء الدراسة في (قلاسقو) قررت أن أبدأ بهذه التجربة، وهي أن أقوم بالقراءة الأكاديمية تحديدًا في المقاهي، وحقاً بدأت وأصبحت عادة يومية، وأحيانًا لكسر الملل أقوم بالتغيير بين المقاهي بحيث أذهب لأحدها صباحًا، ومساءً لمقهى آخر. لاحظت استغرابَ الكثير من الطلاب لدرجة أنهم أطلقوا اسمي على أحد المقاهي أُكثر الجلوس فيه، ومن المفارقات الغريبة أن أحد الزملاء عند البدء في مشاهدتي بهذا الأسلوب كان يقول: إنه لا يمكن أن يقوم بالدراسة في مكان مثل هذا به إزعاج وحركة شديدة، وهذا الصديق كان متزوجًا، وفي آخر أيام دراسته -أي سنة الكتابة- عادت زوجته إلى السعودية، وبقي وحيدًا في (قلاسقو) وكنت وقتها في مدينة (الرياض) وعند عودتي بحثتُ عنه ووجدته في المقهى يدرس، وعند سؤالي له مندهشًا: ماذا تعمل؟! قال: لقد جربتها واستمتعت بها وصرتُ لا أدرس الآن إلا في المقهى، ومن الطريف أنه لم ينهِ دراسته حتى أطلق اسمه على مقهى آخر قريب من الجامعة؛ نظرًا لكثرة جلوسه فيه!

إن من المهم أن يتعلَّم الإنسان أن هناك طرقًا مختلفة لعمل نفس الشيء، ولا يتطلب أن تفعل مثل الآخرين لتفعل الصحيح، فقد تبتكر أنت أسلوبك المختلف الذي يحقق لك أكثر مما تعمله بطريقة تقليدية، وهذا ما يسمى بالخروج من الصندوق، فقد علمنا أن الدراسة يجب أن تكون في مكان مغلق وهادئ، وأنه في غير هذا الظرف لن تستطيع التحصيل.

الشخصيات

شخصيات

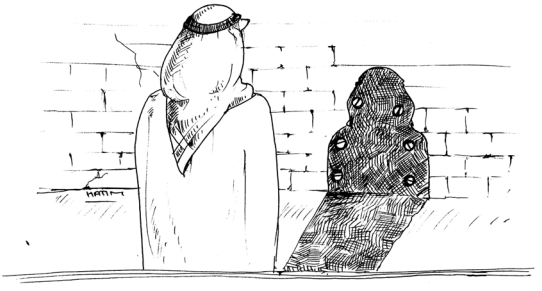

(الصداقة الحقيقية نبات بطيء النمو)

جورج واشنطن أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية

مَنْ يجترح تجربة السفر، ويُخالط الوجوه المختلفة من كل مكان، ويرتحل في قلوبهم واحدًا واحدًا. يعرف الاختلافات بينهم، نظرًا لاختلاف مشاربهم ومرجعياتهم، ولكن تبقى هناك وجوه ترسمُ صورتها بنقاء على سماء القلب، لا ننساها مهما تغيرنا وابتعدنا، تبقى ذكراها مؤرقةً لنا عند الخلوة بالنفس والنظر للوراء.

سأذكر بعض القريبين[1] إلى القلب هنا، أدونهم كما هم بسلبياتهم وإيجابيتهم، بضحكاتهم ودموعهم، كما هم؛ ولا يعني ذلك أن من لم يُذكر غير قريب إلى القلب، ولكن هذا مجرد انتقاء لمن عاشوا في مستعمرة القلب.

◆◆◆

١- تنبيه: الأسماء المذكورة غير حقيقية.

مبارك

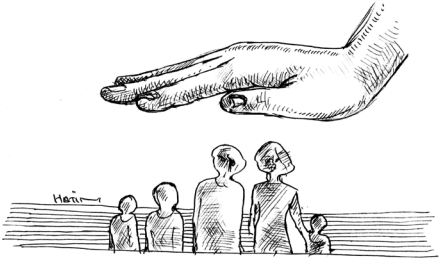

كان (مبارك) شخصية استثنائية بكل المقاييس، فهو مُلمٌّ بمدينة (قلاسقو) وبتاريخها وبجغرافيتها، ولا أنسى عندما عرض عليّ في إحدى إجازات نهاية الأسبوع أن يقوم بأخذي لزيارة لأهم المباني التاريخية في (قلاسقو) وأعجبت بمدى قدرته واطلاعه على تواريخ المباني وتصميمها الهندسي، والتفرقة بين المباني من حيث التصميم، والذي لم أنتبه له إلا بمساعدته.

مبارك شخصية أرستقراطية بامتياز، وله حضور طاغٍ أينما حلّ بفكره الانفتاحي المطلع والتصادمي في بعض الحالات النادرة، حصل على درجة الماجستير من جامعة (قلاسقو) وكان مثيرًا للجدل دائمًا وحاضرًا، وعلى استعداد للدخول في نقاشات فكرية معقدة قد تُخرج كثيرًا من الحضور عن طورهم، ومن ثم الاصطدام به وبأفكاره، ولكن لا يلبث أن يلطف الجو بأسلوب رائع في الخروج من الموضوع المثار، وإنهائه بلا أي خسائر في العلاقات.

مبارك ذو شخصية تحليلية ممتازة، واطلاع فكري عالٍ، يمكن أن يُستفاد منه استراتيجيًّا، ويعاب فقده لحماسة الشباب بادعائه أنه كبر في العمر، وهذا الادعاء في غير محله؛ فهو طاقة فكرية تحتاج إلى دعم ليستفاد منها.

من أعجب ما عرفته عنه أنه لم يدخل مطعمًا قط في سفره، فهو يطبخ لنفسه ولضيوفه جميع الوجبات الثلاث، ولا يرغب لأي حال بشراء الأكل الجاهز، ولم أره في مطعم نهائيًّا، فكم دعانا على وجبات لذيذة يقوم بإعدادها بنفسه، ويمتعنا كذلك بصحبة جميلة.

حضر بقوة وغادر سريعًا، حيث إن دراسة الماجستير تستغرق سنة ونصف فقط، فلم نستمتع بمبارك كما يجب، ولا زلتُ أتمنى لقاءه مرات أخرى؛ فلمجلسه لذة ومتعة.

فـاهـم

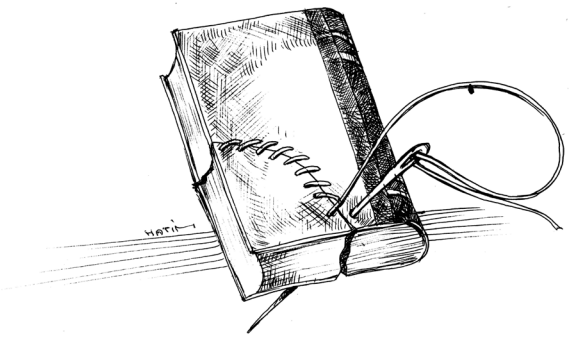

رجل المتناقضات ابتداءً من الاسم غير المتطابق على الإطلاق إلى كل تصرفاته وآرائه الغريبة العجيبة، ولكنَّه بكل المقاييس مقبولٌ جدًا للجميع، ومن جميع الأطياف. مدرّس لغة إنجليزية ويدرس ماجستير في الإدارة، وهذه ثاني المتناقضات؛ فلم أجد أي تطابق بين الوظيفة والدراسة! وهو ليس مبتعثًا، ويدرس على حسابه الخاص، وبقدر ما هو مطلع فهو يقول الكلام المناسب في الوقت غير المناسب، وفي خارج

السياق، وكثيرًا ما يستشهد ويكون الاستشهاد غريبًا جدًا، وليس له علاقة بالنقاش، فيمكن أن نقول إنه يعرف كل شيء ولا يعرف شيئًا! فهو مثلًا له صديق إيطالي ولكنه لا يعرف (الكافي لاتيه) المشروب الإيطالي (القهوة بالحليب).

حضر وفعل كل الضجة الممكنة، واختفى تمامًا في غمضة عين بعد أن أنهى دراسة الماجستير، ولم يتمكن أحد لفترةٍ الاتصال به، أو معرفة أين ذهب، حتى الإيميل لا يرد عليه، وأفضل تعليق في هذا السياق كان كلام الدكتور يزيد آل الشيخ الذي قال: أعتقد أن هذا الشخص هو شخصية (ميتافيزيقية) وليس لها أصل، وقد خرجت لنا بسبب ضغط الدراسة! ودليله في ذلك أن كل شيء في هذه الشخصية متناقض، وأيضًا ليس لها وجود الآن!

لقد عُثِرَ عليه بعد مدة من الزمن، وحصل التأكد بأنه موجود حقيقةً، وأنه حيٌّ يرزق، وشخصية حقيقية، ولكن لم يتغير شيء في شخصيته، فما زال غريب الأطوار، مما أذكره عنه أنني أحضرت له معي كرتونًا (النظام السعودي المعتاد) محملًا بأغراض شهر رمضان، حيث إنني كنت على سفر في أول يوم من رمضان إلى (قلاسقو) ووصلت ظهرًا وأحضرت الكرتون إلى المكتب، وحضر واستلم الأمانة وخرج إلى بيته وهو ليس ببعيد من الجامعة، وبعد لحظات وقبل موعد أذان المغرب بنصف ساعة تقريبًا، اتصل وعرض عليَّ أن أتناول الإفطار معه في مسكنه فاعتذرت، ثم اتصل مرةً أخرى وأصر على حضوري، فاستنتجت أنه قد يكون لمعرفته أنني قادم من سفر، وأني سأقابله، فقد جهز لي إفطارًا، فقبلت وذهبت إلى سكنه قبل المغرب بخمس دقائق.

وعند الوصول سألته أين القهوة العربية؟ قال: إنها في الكرتون ولم يقم بفتحه بعدُ، فعلمت أن الوضع غير مطمئن، وعندها أحضر عصير برتقال وتمرًا، وبعد الإفطار سألته عن العشاء فقال: انتظر قليلًا.

وبعد لحظات بدأت أشتم رائحة ثوم قوية جدًا، فحضر مسرعًا بـ(ساندوتش) يتكون من الخبز والثوم فقط بدون أي إضافات! وسألته: هل هناك شيء آخر؟ فاعتذر بأنه لم يرتب نفسه للعشاء، فسألته: ولم الإصرار على الدعوة؟! فلم يملك إجابة، وخرجنا للعشاء في مطعم قريب.

إن هذا النوع من الشخصيات هم المبدعون بالعادة، فأعتقد أن هذا الشخص بشخصيته الغريبة الأطوار قادر على أن يقوم بعمل ما هو خارج المألوف، وذلك هو التعريف الحقيقي للإبداع.

◆◆◆

سعـود

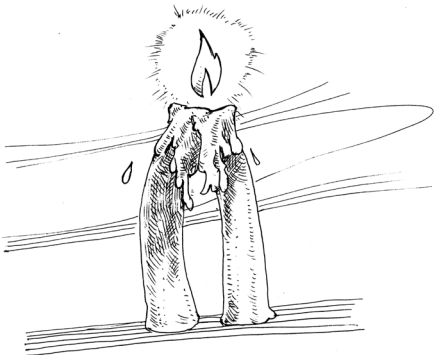

سعود شخصية إعلامية بامتياز، وشاعر مرهف، وراغب في التعلم بشدة، سريع الانفعال، وطني الهوية، غيور حد الثمالة على القيم والمبادئ الإسلامية والعربية، حضوره واضح، نشيط فعال، وانفعالي في طرحه لآرائه، ولكنه محبب إلى النفس.

يغني (الرياض) في كل الأوقات، ويتمنى العودة بأسرع ما يمكن، وهو طالب ماجستير، وحقاً قد عاد بأسرع ما يمكن، وكنت أحدثه أن

التجربة (القلاسقوية) فريدة، ويجب أن يستمتع بها، وأنه سيفتقد هذه الأيام عند عودته، وهكذا كان، فهو يبكيها في كل لقاء وكل اتصال حتى تخاله عاشقاَ ولهانًا.

سعود لا يمكن أن يبقى في مكان واحد لأكثر من ربع ساعة، ويجب أن يتحرك، كنت أستغرب جلوسه في المحاضرة ساعة ونصف! متحركًا في كل مكان، وفي كل وقت، ويعشق المكتبة (مكتبة الجامعة) فكان كثير الزيارات لها والدراسة بها.

كما ذكرت سابقًا أن سعودًا يعشق النقاش في الجوانب الوطنية والوطن، ويهوى الحديث عن (الرياض)، وأعتقد أن حبَّه أعماه أحيانًا عن عيوب (الرياض)، فهو ينسى كل عيب ولا يقبل أي نقاش سلبي عن السعودية، ويرى أن ذكر عيوبها يجب أن يبقى بين السعوديين ولا يطرق في حضور آخرين، له ضد في كل اجتماع، فهو الضد في حال عدم وجود الضد، أي أنه سيجد موضوعًا للنقاش فيه، وسيجد من يختلف معه في نقاش هذا الموضوع، ولكنْ له حضور في كل جلسة، فغيابه مؤثر ووجوده يُثري، وقد توقع الأصدقاء تفوقه لنباهة عقله وتوقده، وحقاً هو كذلك الآن.

زيـاد

زياد طالب دكتوراه في الطب، ومطَّلع بشكل متميز، وصياد ماهر (كما يدَّعي ويرسل من صور)، شخصية مركبة وعجيبة، فهو مطَّلع على الأدب، والفلسفة، وبلا شك الطب، ويستمتع بالنقاش الفلسفي والذي أحيانًا يخرج عن المعقول.

من أشهر القصص في هذا الصدد أنه ظل يسأل باستمرار من يجلس معه من المقربين السؤال التالي: هل أنت حقاً موجود أمامي الآن؟

اثبت ذلك! وظل يناقش هذه المسألة باستفاضة واستمرار حتى سأل زميلنا إبراهيم هذا السؤال الذي كان طالبًا جديدًا في الجامعة، وكان ردُّه بديهيًا ومباشرًا: نعم أنا موجود! وعند قول زياد: اثبت ذلك قال: سأضربك الآن بالطبق الذي أمامي، وستتأكد بأني موجود!

ولكنه لا يمل هذا النوع من الأحاديث، فهو ممتع جدًا، واستثنائي الحضور والتأثير، كان دائم النقاش مع سعود، ويستمتع باستفزازه ومهاجمته في كل زمان ومكان، ولا يكتفي بسعود، فقمة متعته تكمن في النقاش الفلسفي، أو الروايات النجدية الصحراوية، فهو صحراوي الميول والهوى.

زياد ذو علاقات متميزة مع عدد غير محدود من الطلبة السعوديين وغيرهم، ويعطي انطباعًا إيجابيًّا جدًا عن الشاب السعودي.

سعيد

سعيد شاب ملتزم، وخطيب جمعة في بعض الأيام، وهو شخص يبحث عن أيِّ فرصة ليقدم خدمة لأي شخص دون أي طلب، فإن علم أنك بحاجة لشيء ما بذل كل ما يستطيع لتوفيره لك، وأذكر أنني كنت في شهر رمضان عائدًا إلى السعودية -إلى جدة تحديدًا- لأداء العمرة، واحتجت إلى إحرام للعمرة ولم أجده، وتحدثت لأحد الإخوة المصريين بذلك ولم نجد سبيلًا للحصول عليه، وافترقنا أنا والأخ

المصري، وذهبت إلى سكني، وكان سفري في اليوم التالي، وبعد نصف ساعة تقريبًا اتصل بي سعيد وأفاد بأنه قابل الأخ المصري، وأنه يعرف مكانًا لبيع الإحرامات، فطلبت العنوان فرفض، وقال: سأمر عليك غدًا ونذهب سويًا ومن ثم أوصلك إلى المطار، فلم يكتفِ بإرشادي إلى المكان، بل أصرّ على حضوره معي، واشتراه بنفسه، وأيضًا قام بإيصالي إلى المطار.

ما كنت آخذه على سعيد هو أنه عندما يخطب للجمعة ينتقد الحكومة البريطانية بشدة، وبرأيي هذا أكثر من المقبول، كنت دائمًا أقول إننا في ضيافة هذه الدولة، وقد أكرموا مثوانا فلابد أن نشكر صنيعهم وننتقدهم ولكن بعدل.

ويبقى سعيد من الشخصيات التي أثرت فيَّ بشكل كبير، وتعلمت منه الحرص الدائم على فعل الخير بلا قيد أو شرط، وفي كل وقت.

رحيم

اخترت لرحيم هذا الاسم لأنه فعلاً رحيم وطيب وبسيط جدًا وغير معقّد، لم يدخل مطعمًا قط، ولم يدخل مقهًى قط إلا بضغط مني في الأسبوع الأخير له في الجامعة، فقد أجبرته على الدخول معي في مقهى فقط ليدخل هذه التجربة.

برأيي لم يأخذ رحيم من (قلاسقو) إلا شهادة الدكتوراه، فهو لم يستمتع بها إطلاقًا، ولم يخبرها كما يجب، وكانت خطواته محدودة بين

سكنه الذي هو بجانب الجامعة، والجامعة، والنادي السعودي، وبعض السعوديين فقط لا غير، أعتقد أنه خسر الكثير بعدم احتكاكه بالمجتمع، واكتفائه بأقل القليل من هذه التجربة. رحيم لم يحصل من (قلاسقو) إلا على الدكتوراه!

مكَّاوي

أعتذر لنفسي عن عدم معرفتي بمكاوي إلا متأخرًا، فقد فقدت الكثير بذلك، فهو مثقف بشكل عجيب، ويطرح أفكاره بأسلوب راقٍ سلس، وبابتسامة ساحرة.

رجل بلا عقد وبلا مشكلات مع الآخر، فهو الآخر عند الضرورة يتفهمك ويتموقع في وجهة نظرك، ويتفهمها ويتفاعل معها، فهو يمتاز بقراءته لأفكار الآخرين، ويتعامل معها كما يجب.

أتمنى أن أستطيع تعلم أسلوبه في تقبل الآخر، فهو سهل ممتنع يملك الحلول بل الحلول لمشكلات المجتمع بأسلوبه السهل الممتنع، لو عمل بأسلوبه الجميع لما أصبحت هناك مشكلات في المجتمعات، أسلوبه يدرّس في التعامل مع الآخر أيًّا كان الآخر.

جابر

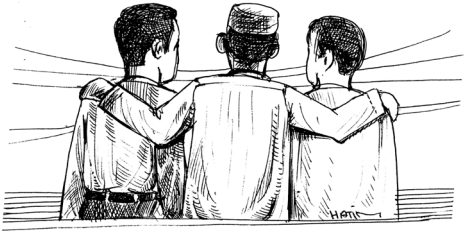

طالب دكتوراه في الطب، لم يسافر من السعودية إطلاقًا إلا للدراسة في (قلاسقو)، مطّلع وقارئ ومتمرس، ولا يمكن أن تتنبأ بأنه لأول مرة يسافر خارج السعودية، فقد تأقلم سريعًا مع الغربة، وعاشها كما يجب، يعرف أكثر مما يعرفه كثيرون سبقوه في السفر.

أعتقد جازمًا بأن كونه مطلعًا وقارئًا ساعده كثيراً على معرفة الآخر

والتعايش معه، يعجبني كثيرًا التزامه الديني، فهو يعكس سماحة الدين كما يجب.

الخبرات والتجارب

رئيس البرنامج والنظام

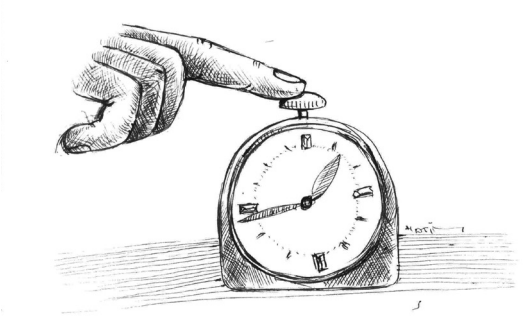

(من يعطي الأوامر بحكمة يتلقَ الطاعة بسعادة)

ثوماس فولر

يستفيد الطالب من هذه التجربة في جوانب أخرى، منها الإدارية، فمن الممكن جدًا أن تتطلع على الطريقة البريطانية في الإدارة من خلال تعايشك مع النظام السائد، وخاصة كونك جزءًا من هذا النظام، بل قد تكون محوره الأساس.

كنت طالبًا منتظمًا في الجامعة حسب النظام، ولكن بسبب ارتباطي العملي كنت أقضي معظم الوقت في السعودية، ولكي أطبق نظام

الجامعة من حيث ضرورة الاجتماع بالمشرفة بمعدل مرة كل شهر فأحضر آخر الشهر أجتمع مباشرة مع المشرفة، وقبل المغادرة أجتمع مرة أخرى على الأقل (حيث إن في بعض الأوقات نجتمع بشكل يومي)، وبذلك أكون طبقت نسبيًّا الاشتراطات خلافًا للإيميلات المتبادلة الكثيرة، وقد احتفظت بكل إيميلات الدراسة والتي وصل عددها إلى أكثر من ألف إيميل.

مدير برنامج الدكتوراه بالجامعة كان يرى أن طالب الدكتوراه يجب أن ينتظم بالجامعة ولا يغادرها موظفاً، وهو رأي يُحترم، ولكن لا يتفق معه كل مسئولي الجامعة، وحجته أن وجود الطالب في الجامعة يجعله يمتزج بالعملية الأكاديمية، وأيضًا يحتك بشكل أكبر مع الطلاب الآخرين، وكذلك يحضر المحاضرات المستمرة التي يلقيها بعض المختصين في الجامعة، وهو مُحقٌّ في ذلك من ناحية أكاديمية، ولكن النظام لا يشترط هذه الاشتراطات.

فمثلًا يتبنى بعض المسئولين الآخرين في الجامعة بأن الطالب في مستوى من الوعي يؤهله أن يحدد أولوياته، وما دام ملتزمًا بالاشتراطات الدنيا للجامعة فهو حرٌّ في ترتيب أولوياته، وهذه النقطة اشتد النقاش فيها بالجامعة، وكنت محورها، حيث إنني مَنْ أثارها بهذه القوة، وحيث إنني كنت واضحًا في هذه المسألة، وكنت أبلغ مشرفتي بسفري وحضوري بلا تحرج.

وظلت هذه المسألة مفتوحة للنقاش حتى آخر يوم في إشرافه على البرنامج، حيث إنه غادر البرنامج وبقي بروفيسورًا في الجامعة،

والجميل في كل هذه المسألة أن المشرف -وهو مشرف وبروفيسور ويعدُّ أكاديميًّا عالميًّا- لم يستطع تجاوز النظام، ولم يعمل أكثر من الاحتجاج على ما أقوم به، وقد قام في إحدى المراجعات بالإصرار على أنني لن أستطيع الحصول على الدكتوراه بهذا الأسلوب، وأبلغته أن مشرفتي -وهي بروفيسورة معتبرة أيضًا- ترى أمرًا غير ذلك، وترى أنني أتقدم بشكل مقبول، ولن يعيقني القيام بعملي مع دراستي. ومن الجميل أنه لم يقم بأكثر من الاحتجاج، فلم يسعَ إلى فصلي من الجامعة، ولم يضغط على مشرفتي بأي أمر، ولم يختلق مشكلة معي، ولم يبذل جهدًا لإيذائي، فهل هذا هو ما يمكن أن يكون في إحدى الجامعات العربية؟!

وهل سيُترك طالب في حالتي تلك وعلى هذا الخلاف مع مشرف البرنامج مستمرًا في نفس الجامعة، بل متخرجًا فيها؟! أشك، بل أجزم أنه لا يمكن أن يحصل ذلك، وهذا أمر آخر يدل على الفرق بيننا وبينهم، وكيف هم يتطورون ونبقى نشخصن المسائل، ونبني التصورات والقرارات على أساس الأشخاص وليس على أساس الأنظمة والحق والعدل، فبالعدل تتطور الدول وتسود.

◆◆◆

المشرفة وحماية الطالب وحقوقه

(القائد لا يقدم الأعذار لنفسه)

هنري بيتشر

في نفس السياق كان سهلًا على المشرفة أن تبقي العلاقة بينها وبين المشرف على أفضل حال، وأن تتبنى رأيه وتسهل لنفسها الأمر، ولكن أصرَّت أن توضح لي حقوقي طالباً، وشرحت لي جميع الخيارات المتاحة حتى لو تطلب الأمر رفع الأمر لأعلى سلطة في الجامعة ستبقى معي؛ لأنني -كما قالت- لم أخالف النظام، ولا يحق لأي أحدٍ كان محاسبتي.

تساءلت عدة مرات عن سبب حرصها وحمايتها لي، وأنا من أكون

بالنسبة لها، ولكن أخلاقياتها لم تسمح لها بغير ذلك، حتى إنني -وكنوع من الشكر- أحضرت لها حلويات شرقية لا تتجاوز قيمتها خمسين ريالًا، وخوفًا منها أن يعدَّ هذا الأمر من الممنوعات، أو أن يكون سببًا لما قامت به، أرسلت لي إيميلًا رسميًّا تشكرني على الحلويات الشرقية، وأفادت بأنها ستقوم بتوزيعها على الحضور في أول حفل في الكلية.

فمشرفتي قاومت كل الضغوط والملاحظات التي أثارها مشرف البرنامج، بل تعاملت معها بكل ذكاء وواقعية، فوضعت الأمر في إطاره الصحيح بأنه رأيٌ يحترم، ولكن لا يتطلب مني أكثر من تجاهله إذا لم يرق لي.

رسالة لمن يدَّعون أننا نعامل بشكل سيئ من قبلهم في الجامعات، أو من يدعي أننا لا نأخذ فرصتنا كاملة، أو أنهم يكرهوننا لأننا مسلمون، وكذلك رسالة أقوى لمن يطلب أو يعامل من يزورونا أو يعيشون بين ظهرانينا من غير السعوديين من كل جنس أن يتقوا الله في ديننا، وأن لا يعطوا عنه صوره سلبية بناءً على تصورات إقصائية لا تمت إلى الدين بصلة.

فقد دخل الإسلام آسيا وأوروبا بالتعامل الحسن، والتجارة الصادقة أكثر مما دخل الإسلام بالجهاد، فنحن في فرصة مواتية بأن نكرم من حضر إلى بلادنا ونحترمهم ونقدر اختلافهم، فأقل فائدة هي أن نأمن شرهم ونكسب ودهم إذا لم نستطع ترغيبهم بديننا.

وتلك المواقف تذكرني بالمقولة الشهيرة دائمًا: «رأيت هناك إسلامًا ولم أرَ مسلمين، ورأيت هنا مسلمين ولم أرَ إسلامًا»!

معالجة الدكتوراه

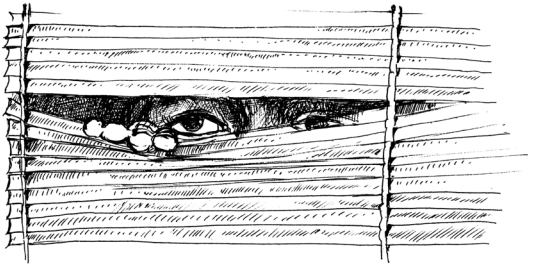

(إذا لم تغير ما تفعله دائماً فلن تغير النتائج التي تحصل عليها دائماً)

بيتر فرانسسكو

يهتم القائمون على الجامعات -في الجامعات المرموقة- على تطوير البرامج بشكل يجعل من البرامج الأكاديمية أكثر قبولًا وأكثر جذبًا للطلاب وأكثر إفادة، فلا يتوقف البرنامج على شكل محدد، بل يبقى دائمًا تحت الأنظار ليتطور، وينافس البرامج الأخرى. من الأفكار الرائعة فكرة برنامج معالجة الدكتوراه أو (الدكتوراه ريتريت)، وهو برنامج يتطلب من جميع طلاب الدكتوراه، ومعظم المشرفين الذهاب

لمدة يومين في عطلة نهاية الأسبوع إلى أحد ما يسمى بالـ (كتوجز)، وهي أكواخ جميلة غالبًا تكون على الأنهار أو المناطق الخضراء الجميلة، تكون الأجواء مريحة وطبيعية بعيدًا عن إزعاج المدينة، وبعيدًا عن انشغال الطالب بمسائل جانبية تفقده التركيز وتجذب انتباهه، والهدف من هذا البرنامج هو الخروج عن الروتين الرسمي، والاحتكاك الأكبر مع المشرفين لمدة يومين تتخللها بعض المحاضرات عن شتى المواضيع المتعلقة بالدراسة، وكذلك يقوم الطلاب بعرض إشكالاتهم ومناقشتها مع بعضهم البعض ومع المشرفين الآخرين، ويتخلله أيضا نوع من المسابقات العلمية التي تصب في نفس الاتجاه وهو زيادة المعرفة الأكاديمية، وتوسيع المدارك للطلاب بشكل مشوق وبأجواء رائعة، فكرة متميزة، تعطي الطالب فرصة للخروج عن الرسمية والاحتكاك بشكل أفضل مع المشرفين، وتوطد العلاقة مع الطلاب الآخرين، وتساعد على تبادل الخبرات، لها أبعاد إيجابية ولا تخلو من الاحتكاك بالحضارات الأخرى، والاطلاع على بعض العادات، يخرج الطلاب عادةً من هذا البرنامج بقربٍ أكثر من بعضهم البعض، وتكون فرصة لمعرفة ما يقومون به بشكلٍ أوضح، ومن ثم استفادة بعضهم من بعض.

يُنفَّذ هذا البرنامج مرة سنويًّا، ويعد له بشكل منظم قبل ستة أشهر من وقته، ويظهر فيه مستوى التنظيم والدقة بشكل يجعلنا نتساءل: هل هذا المستوى من التنظيم صعب تنفيذه في مجتمعاتنا، أم أنه جزء من حضارتهم، فلا يمكن أن ينفذ في بلادنا إلا بعد غرسه فينا منذ الصغر؟!

ولا شك في أن هناك بعض العادات السيئة التي تظهر في هذا

المناسبات بالذات، وقد يكون من المناسب الوضوح فيها وعدم المجاملة، فهم يحترمون احترامنا لمبادئنا أكثر من احترامهم لنا إذا تجاوزناها، ومن ذلك أذكر اعتذارنا عن حضور الحفل الليلي (جميع الطلاب السعوديين قد اعتذروا) حيث إن فيه بعض التجاوزات التي لا يقرها ديننا، وقد تفهموا هذا الاعتذار بشكلٍ لطيف، وأعتقد أننا أعطينا صورة إيجابية عن أنفسنا وبلدنا بهذا الاعتذار اللطيف، فكنا بمظهر حسن، وأظهرنا مبادئ ديننا الحنيف.

المراجعة النصفية

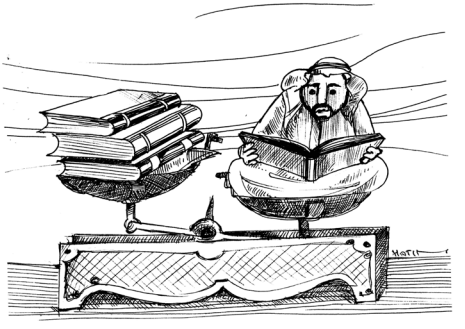

(إذا لم تعرف إلى أين أنت ذاهب فكل الطرق تأخذك إلى هناك)

مثل مشهور

قد تتوه في الطريق، وقد تخرج عن الخط المستقيم الذي هو أسرع الطرق بين نقطتين، وقد ترجع إلى الخلف للحصول على شيء ليس ذا أهمية، لذلك قد تحتاج إلى خارطةِ طريق، وتحتاج إلى دليل ينظر إليك من خارج الصندوق ليتأكد أنك على الطريق الصحيح.

كثيرًا ما يشعر الطالب بأنه في مرحلة عدم وضوح، أو بالأحرى مرحلة فقد التركيز، هل هو في الطريق الصحيح أم لا؟ وهل هو يتقدم

حسب ما هو متوقع منه للوصول أم أبطأ مما هو مطلوب؟ وقد يكون -وهذا يحدث كثيرًا- في نفس مكانه، وهو يعتقد أنه يتقدم.

لذلك يقوم المشرف بدور الدليل الذي يتأكد من تقدمك كما يجب، ويتأكد أنك في الطريق الصحيح، وكذلك يفتح لك بعض المسائل التي لم تتنبه لها، أو التي قد تكتشف لاحقًا أنك أخطأت في تجاهلها بما يؤثر على تحصيلك، يجتهد المشرف بكل قدراته لهذا الاتجاه، ولكن يحصل أحيانًا أن المشرف مع الطلاب يتأخرون في المسير، وكذلك يحدث أن يختلفوا في مسألة أكاديمية مهمة للبحث، فلذلك جرى تطوير وسيلة لتجنب هذا المنزلق باستحداث ما يسمى بالمراجعة النصفية أو (بانل ريڤيو) وهي مراجعة نصف سنوية، يُطلب من الطالب فيها أن يقدم تقريرًا عن بحثه ومدى تقدمه فيه منذ المراجعة السابقة، ويقدم عرضًا على الطلاب والمشرفين، ويقوم الجميع بمناقشة الطالب في بحثه، وهي من المراجعات المفيدة جدًا، تجعل من الطالب يشعر بمدى تقدمه خلال الستة الأشهر الماضية، وفعلًا يتضح إذا كان الطالب في الاتجاه الصحيح أم لا، هناك كثير من الطلاب يقررون المغادرة بعد إحدى المناقشات التي يتضح منها أنهم في الاتجاه الخاطئ، وكذلك الفصل في بعض المسائل التي يختلف فيها الطالب والمشرف، وإيضاح آراء أكاديمية أخرى قد تساعد الطرفين في الوصول لأفضل السبل، ولا يعني ذلك أن هذه المناقشة تأخذ طابع التحكيم، بل هي تعمل بشكل استشاري للطالب والمشرف، وتستخدم مرجعيةً أكاديميةً معتبرةً، ويحصل الطالب بناءً عليها على خطاب يوضح رأي الجامعة مع المشرف بمستوى تقدمه أكاديميًّا. هذه المراجعة تُهيِّئ الطالب بشكل جيد للمناقشة النهائية،

وكثيرًا ما تكشف عيوبًا وضعفًا في الرسالة، ومن الإيجابيات حرص كل من يحضر بالإسهام الإيجابي من حيث تحسين مستوى الرسالة.

إن إثارة هذه الأفكار هي بدافع معرفة كيفية تطوير البرامج بشكل مستمر لمصلحة العملية التعليمية، وهو أسلوب علمي يُبعد الأمور الشخصية قدر المستطاع عن هذه العلاقة بين الطالب والمشرف.

النظام المفتوح (الدوام الليلي)

(كل شيء يكون صعباً قبل أن يكون سهلاً)

توماس فولر

إدارة الوقت علمٌ له أساليبه ووسائله، ويتكلم عنه الكثير ويطبقه القليل، خاصةً في مجتمعاتنا العربية، ولكن في أجواء الأبحاث أكثر أهمية وأشد صعوبة؛ وذلك لأن الوصول للحقيقة في بعض المسائل قد يأخذ أكثر مما هو متوقع، وبلا شك يوقف تقدم الباحث، ولإدارة الوقت في الأبحاث عناصر مهمة تجعل الإدارة مهمة ولكن بطريقة مختلفة مما يجعل الليل نهارًا والنهار ليلًا، أو ما يجعلك تواصل الليل

مع النهار للوصول إلى نقطة مهمّة أو لتجاوز عقبة.

وللبحث الأكاديمي صفات من أهمها أن الباحث تحصل له أحيانًا فتوحات فكرية تضفي إيجابية عالية على بحثه، أو أن سياق البحث يتطلب عدم التوقف، أو تضطر للبحث عن معلومة في مرجع علمي أو ما شابه ذلك، وبناءً على ذلك يضطر الباحث أحيانًا إلى عدم التوقف، ومن ثم المواصلة والسهر إلى وقت متأخر، وقد كان من المعتاد أن ترى الساهرين من الطلاب لإنهاء نقاط معينة متعلقة بالبحث، وهذه من العيوب التي تؤثر على سياق اليوم وتنظيم الوقت.

يمتاز البريطانيون بالقدرة على ضبط هذه المسألة بشكل أفضل، حيث إنهم قليلو السهر، وتجد هذه العادة أكثر في الشرقيين والعرب بشكل خاص، ولا يعني أنك لا ترى البريطانيين سهارى ولكن بشكل أقل، ومن الممتع أن تخرج من هذا السهر بالنتيجة المرجوة، حيث إنه يحصل في كثير من الحالات أن ينتهي البحث بدون نتيجة، أو بنتيجة مخيبة للآمال، كأن تكتشف بأنك تبحث في المكان الخطأ، أو أن ما افترضته في بحثك ليس له سند قوي، أو أن ما جمعته من معلومات لا يتسق مع فرضياتك، وهو من أسوأ النتائج، حيث إن تعليل عدم المطابقة بين ما وجدته وما هو موجود في الأدبيات أصعب بكثير من إثبات ما أُثبت في دراسات سابقة، وفي ظروف مختلفة. فيبقى تعليل عدم المطابقة مسألة تحتاج إلى مستوى عالٍ من المنطقية والعلمية، ولا يمكن التعليل بناءً على رأي شخصي.

من الوسائل المتبعة للتعليل إضافة علمية جديدة على أسلوب جمع

البيانات التي تقوم من خلالها بتعليل ما وصلت إليه من نتيجة مخالفة لما هو مثبت في الأدبيات العلمية، وهذا -إن حصل- يجعل من تعاملك مع الوقت وخطتك السابقة في برمجة الوقت تحتاج إلى إعادة بناء، وهنا تكمن صعوبة إدارة الوقت للأبحاث.

رمضان في (قلاسقو)

(يوجد دائمًا من هو أشقى منك، فابتسم)

حكمة مشهورة

رمضان شهر الجمال والصيام والقرآن، إنه الشهر الذي يجد كلُّ مسلم فيه قلبه بعيدًا عن زخم شهور السنة، وإنه ليصعب على المسلم أن يصُومه في بلاد الغربة، في بلاد غير المسلمين، لا تشعر بنفحاته التي تشعر بها في بلادك، بجماله، بأناقته، بالزينة التي تملأ القلوب والعيون.

عند صيامه في بلاد الغربة وحيدًا دون العائلة يصبح موحشًا، ويبعث

اليأس والسأم، رغم ما يقوم به الإخوة السعوديون من الدعوات التي تكاد تكون يومية للإفطار، ولكن يبقى دائمًا فقد الأهل في هذا الشهر أقوى وطأة من الأشهر الأخرى.

صمتُ رمضان كاملًا في (قلاسقو)، وأيضًا أيامًا من أشهر أخرى، ولم أستمتع يومًا واحدًا بها، ولكنها فرصة أن يتذكَّر الإنسان ما منَّ الله عليه بصيام الأشهر الأخرى من رمضان في بلاده آمنًا، وبين أهله وذويه، وبروحانية عالية، فهذا يُفتقد بشكل كبير في بلاد غير المسلمين.

يقينك بأهمية ما تقوم به من عمل وتوخٍّ للعواقب الحميدة يخفف وطأة هذا الشعور، وكذلك يقينك أن صيامك في بلاد الغربة ليس عادةً دائمة بل هو أمر طارئ سينتهي بانتهاء المهمة، فالحمد لله أن هذا الأمر لا يتكرر دائمًا وإنما هي حالات استثنائية.

ويبقى العيد في الغربة ودون الأهل والأحبة أكبر عقاب يمكن أن يصيبك حقاً، فقد شعرت بالوحشة بعد صلاة العيد، وتذكرت إخواننا الذين يعيشون أغرابًا في بلادنا لسنوات طويلة مفتقدين للأهل والأصدقاء.

هو يوم عيد ولكنه يتحول دون الأهل والأحبة إلى بؤسٍ تام وشعورٍ قاتل، لم ينقذني منه إلا اتصال أحد الأحبة وإبلاغي أن الإخوة السعوديين قاموا بترتيب لقاء بعد الظهر لجمع السعوديين في بيت أحدهم، فكانت إلى حد ما كاسرة لهذا الشعور، ولكن بدون الأهل لا عيد يذكر.

وتذكرت قول المتنبي:

عيدٌ بِأَيَّةِ حالٍ عُدتَ يا عيدُ بما مَضى أَم بِأَمرٍ فيكَ تَجديدُ
أَمّا الأَحِبَّةُ فَالبَيداءُ دونَهُمُ فَلَيتَ دونَكَ بيدًا دونَها بيدُ
لَولا العُلى لَم تَجُب بي ما أَجوبُ بِها وَجناءُ حَرفٌ وَلا جَرداءُ قَيدودُ

الغزو الصيني

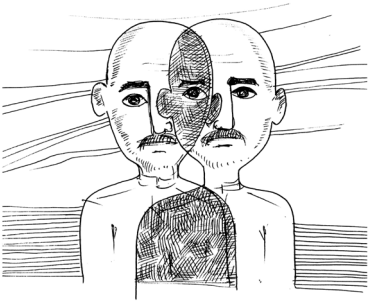

(لا يكفي أن أنجح، بل يجب أن يفشل الناس جميعًا)

جنكيز خان

معرفة الحضارات هي -كما ذكرتُ سابقًا- من أهم الفوائد في الأسفار، ومن خلال فرصة الاحتكاك الجيد مع الصينيين سأذكر مثالاً على هذه الخبرة تجربتي مع زميلتي الصينية، فالصينيون عرف عنهم الجدية في العمل المناط بهم، وتركيزهم العالي ودقتهم.

إن دأب الصينيين وعدم شكواهم من كثرة العمل هو أمرٌ مثيرٌ للإعجاب بحق، ويدعو للتقدير، ويستحق المحاكاة، وزميلتي الصينية

(شومي) ليست استثناءً مما ذكر، فهي تكاد تكون مقيمة في المكتب، تتواجد في المكتب كل الوقت، وأيضًا في نهاية الأسبوع، وتعمل باستمرار بدأب وجد واجتهاد، وأيضًا تقوم بعمل تجاري بالإضافة إلى الدراسة.

ولكن الملاحظ على الصينيين أنهم يسيئون الاستفادة من الخدمات المتاحة، فهم يذهبون إلى الحد الأقصى في استخدام ما هو متاح من خدمات، فمن ذلك أن في المكتب خطًا هاتفيًّا يمكن استخدامه لجميع الاتصالات للهواتف الثابتة، وكذلك الجوالات داخل بريطانيا، فهي تستخدمه بشكل غير منطقي، وبشكل مركز ومكثف، حتى إن إدارة الجامعة هددتنا في المكتب -ونحن من أربعة إلى خمسة طلاب- بأنهم سيقومون بفصل الخدمة لأن الاستخدام غير منطقي، وكل من في المكتب يعلم -بلا شك- بأن الاستخدام الجائر هو صيني المنشأ.

ومن ذلك استخدامها الورق بشكل تعسفي، وكذلك التوسع في المكتب واستخدامه، حتى إنها وصلت إلى إحضار علَّاقات الملابس وتعليق بعض الجاكتات في المكتب، ومن ثم بدأت بسحب جهاز الهاتف وهو في مكان عام وبسلك طويل يصل لجميع طاولات الطلاب، وقصرت سلكه وجعلته في مكتبها، أي أنها الوحيدة التي يمكن أن تستخدم الهاتف وهي جالسة، والآخرون يجب أن يبقوا وقوفًا في أثناء المكالمة لعدم إمكان وصوله لمكاتبهم، وقد تساهل الطلاب في ذلك نظرًا لقلة جلوسهم في المكتب بالمقارنة بها، ولي معها قصة طريفة، ولكن بحق تعكس طريقة التفكير الصيني، فنحن نحتاج إلى (دبّاسة) الأوراق باستمرار، وهناك (دبَّاسة) عامة في كل مكتب لاستخدام الجميع، وكثيرًا ما كانت تتعطل لكثرة الاستخدام، فقمت بإحضار

(دبَّاسة) خاصة لاستخدامي الشخصي، ومن باب التعاون وضعتها فوق مكتبي لتكون متاحة للجميع، وبعد سفري وعودتي وجدتها على مكتبها فطلبتها واستخدمتها وتركتها على مكتبي، وفي الزيارة الأخرى قامت بوضعها في درج مكتبها المغلق، وعند سؤالي عنها أخرجتَها من مكتبها، وقالت عبارة مثل: إنك تكثر استخدام الدباسة، أعدْها بعد الانتهاء منها! فلم أتمالك نفسي، وتحركت الدماء العربية، وقلت لها بصوتٍ عالٍ وقاسٍ: إن الدباسة ملكي، وأنا الذي اشتريتها، فلماذا تضعينها في درجكِ المغلق؟! فقالت بطريقة تدل على الاستياء: خذها لا أحتاجها! وأذكر في إحدى الليالي أتيت إلى المكتب في الليل متأخرًا، وعند دخولي المكتب وجدت ملابس سباحة نسائية (مايوه) موضوعة على المدفأة وهي بجانب طاولتي تمامًا، وكان وضعها مقززًا. أنهيت عملي وخرجت، وعندما حضرت في اليوم التالي قالت لي: هل أتيت للمكتب ليلًا (يبدو أنها شعرت بدخول أحد بعدها، فهي أول من يأتي وآخر من يخرج)، فقلت: نعم، فبدأت بالاعتذار عما فعلت، وأنها لم تتوقع حضوري ليلًا.

الصينيون جادون وعمليون ومقتصدون، ولكن لديهم استعداد دائم للغزو عسكريًّا وتجاريًّا أو اقتصاديًّا أو (دباسيًّا) كما ذكرت! فقد خبرت هذه الصفة بهم بشكل متكرر، وما يجعلني أورد هذه النقطة هو التأكيد على أن معرفة صفات الآخرين ودراستها تسهل علينا كثيرًا طريقة تعاملنا معهم، وكذلك تحفظ حقوقنا الطبيعية إذا لزم الأمر.

الشعب المصري الحبيب

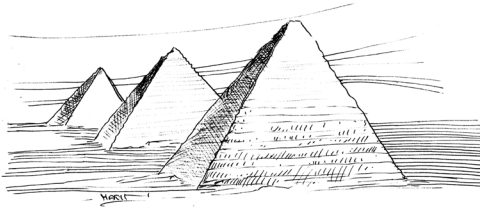

(وإذا ما ازددت علماً زادني علماً بجهلي)

الإمام الشافعي

للسعوديين مع المصريين تاريخ طويل من العلاقات والتأثير المتبادل، وهناك دائمًا تفاعل بين الطرفين في معظم القضايا المشتركة، ولي شخصيًّا علاقة مع الإخوة المصريين ابتداءً من العلاقة بالمعلمين في المدارس، ومن ثم في العمل، فقد زاملت مجموعة ليست قليلة منهم، وأخيرًا عندما بدأنا استثمارات (دواجن الوطنية) في مصر ترسخت هذه العلاقة على جميع المستويات.

وكما هي عادة وطبيعة كل بلد فهناك صفات إيجابية وسلبية لكل بلد، والإخوة المصريون ليسوا استثناء فلهم صفات إيجابية كثيرة ليس هذا مجال ذكرها، ولهم بعض الصفات التي قد تصنف من السلبيات. من هذه الصفات صفتان وجدتهما في معظمهم.

الصفة الأولى: هي طريقتهم بالاعتذار، فهم لا يعتذرون بشكل مباشر وواضح، بل يسرد لك قصة تبرر ما فعل، وأسباب ما فعل، ولك أن تعتبر هذا اعتذارًا إن أردت، أو سيتطلب منك وقتًا وجهدًا كبيرًا للحصول على اعتذار واضح وصريح.

أما الصفة الثانية: فهي أن المصريين لا يقولون لا أعرف إطلاقًا، ويجدون ذلك من خوارم المروءة، فمهما كان السؤال فعنده له جواب، أن تقتنع بالجواب أم لا فهذا قرارك الشخصي!

ومن القصص اللطيفة في هذا الصدد، كنت أنا والدكتور محمد (صديقي المصري العزيز) نتمشى في مدينة (قلاسقو) ومررنا على تمثال لأحد الفرسان في أحد الميادين، وعادةً هذه التماثيل للفرسان تجدها بثلاثة أشكال مختلفة: إما أن يكون الفارس على فرس مرفوع القدمين، أو بقدم واحدة مرفوعة، أو أن تكون القدمان على الأرض، وتفسير ذلك بأنه إذا كان الفرس رافعًا لقدميه فإن الفارس يكون قد قُتل في إحدى المعارك، وإن كان رافعًا لقدم واحدة فإن الفارس يكون قد أصيب في المعركة ومات بعدها، وإن كانت قدما الفرس على الأرض فإن الفارس مات بشكل طبيعي. فأردت أن أختبر أخي المصري لسببين: لإيصال المعلومة له، فأسهل طريقة لإيصال أي معلومة هو

أن تبدأ بالسؤال لترسخ المعلومة، وكذلك لاختبار الصفة المصرية المذكورة سابقًا، والتأكد من تحليلي للمصريين.

فسألته عن التمثال وقد كان الفرس بقدم واحدة مرتفعة عن الأرض، لماذا فرس الفارس بقدم مرتفعة بينما في تماثيل أخرى تكون القدمان مرتفعتين، وفي أخرى تكون على الأرض، فلم يتردد في الجواب، وقال: (إذا كان رافعًا لقدميه يكون الفرس مع الفارس (بيرقص)، وإذا رافع وحدة بس بيكون الفرس بس هو اللي (بيرقص)، وإذا كانت على الأرض بيكون (بيستريح)، فضحكنا كثيرًا، وقلت له بأنك لست استثناء من القاعدة المصرية. وللعلم ولتأكيد لطافة الإخوة المصريين فقد أصرَّ على أن أذكر القصة في هذا الكتاب عندما علم بأني في صدد كتابته.

معرفة الصفات العامة لأي مجتمع تساعد كثيرًا على القدرة في التعامل مع هذا المجتمع، وهذه الخبرات تتكون من كثرة الاحتكاك والتعامل مع الجنسيات الأخرى.

◆◆◆

أيام الفرح المتكررة

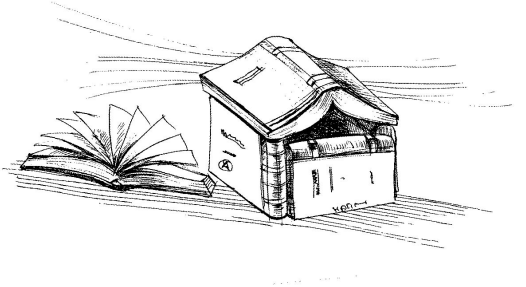

(السعادة تقرع بابنا كلَّ يوم، ولكننا لا نسمع صوت قرعها؛ لأنه يضيع بين أصواتنا العالية، وصياحنا، وندبنا للحظ)

حكيم

عندما يضحك مجموعة من السعوديين ضحكًا فرائحيًّا خالصًا لمدة من الوقت، وبعد الاستمرار في الضحك مدة يبادر أحدهم ويقول: الله يعطينا خير هذا الضحك، ويؤمِّن الباقون بسرعة، ويسود الصمت، فنحن نخاف من الفرح ولا نعرف كيف نزرعه ونوجد أسبابه.

فلو نظرنا إلى الأعياد ومناسبات الزواج لاتضح جليًا مستوى الضعف في خلق الفرح، فهل يعقل أن لا تتجاوز لحظات الحضور

للزواج في (الرياض) من ربع ساعة يجلس فيها الناس متململين ويخرجون هاربين، من ماذا؟ من الفرح! لأننا لا نتحمله أو نخافه، لا أعلم لماذا لا نجعل من الفرح فرحًا حقيقيًّا، لماذا نجعل من أفراحنا حفلة مجاملات بامتياز؟!

في المقابل في كلية الإدارة في جامعة (قلاسقو) يكاد لا يمر شهر إلا توجد مناسبة للفرح، يحضر الجميع للمشاركة ويستمتعون بوقتهم ويتفاعلون ويفرحون وينفض الفرح بأجمل صورة وبانعكاس إيجابي على الجميع.

المجتمع كله يبحث عن الفرح واللحظات السعيدة، بل يقوم بتهيئة الفرص لهذا الفرح ويكرره بشكل مبسط بلا تكلفة عالية، فقلة التكلفة تسهل التكرار، وأيضًا تسهل دوران المناسبات السعيدة، وأؤكد مرة أخرى أنهم لا يخافون الفرح مثلنا، ولا يتعوذون من توابعه، بل هم يوجدون مناسباته بدلاً من أن يتحاشوه كما نفعل.

خرجت إلى إحدى دعوات الزواج في (الرياض)، صليت العشاء في المسجد القريب إلى بيتي، وهو يبعد عن موقع حفلة الزواج حوالي ثمانٍ إلى عشر دقائق، وعند وصولي إلى المكان وجدت كثيرًا من الضيوف يخرجون من حفلة الزواج، فقد حضروا وخرجوا في حدود عشر إلى خمس عشرة دقيقة، فهل هذا فرح أو مشاركة في الفرح؟! بلا شك الجواب واضح، أريد أن أوضح أنني لست استثناءً، فأنا جزء من المجتمع وأتطبع بطباعه.

في المقابل، وفي طريقي من السكن الجامعي إلى الجامعة، وفي تقاطع

شارع (بايرز روود) مع (ويسترن روود) هناك كنيسة صغيرة ولكنها قديمة، ولاحظت مجموعة صغيرة من العمال الذين يعملون في ترميمها بشكل يومي مدة طويلة، وفي صباح جميل وأنا مقبل على المبنى القديم وفي طريقي إلى الجامعة سمعت صوت الموسيقى الأسكتلندية المعروفة، وعند وصولي شاهدت العمال وقد أحضروا شخصًا واحدًا للموسيقى الأسكتلندية وبعض الأطفال، وجعلوا من إنهاء عملهم فرصة للفرح.

كم من الفرص التي تتاح في حياتنا ولا نحتفل بها، بل كم من الاحتفالات التي تقام ونقتلها بعدم حضورها وعدم تفعيلها؟ والعجيب أننا نعطي الوقت الأكثر للأوقات غير السعيدة عن الأوقات السعيدة. نحن بشر ونحتاج للفرح لتستقيم الحياة، ونحتاج للتوازن في مشاعرنا، ونحتاج للابتسامة في محيانا لنبقى «خير أمة أخرجت للناس»، فجديتنا المفرطة قد جعلت منا قساةً وغير ودودين، فلماذا نخاف الفرح؟! سؤال يحتاج إلى تفكير.

السكن الجامعي

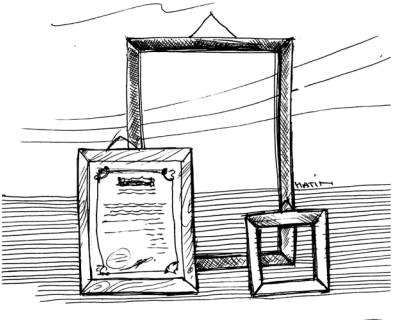

(إن الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من جليس السوء)

الأشعري

كما ذكرتُ سابقًا، حاولت أن أطبق التجربة كلها كما يجب، وكما يطبقها أي طالب آخر من أي مكان في الدنيا حتى أستشعرها كما يجب، وأعيشها كما ينبغي. وكان السكن الجامعي من هذه التجارب الممتعة.

من الخبرات الجميلة تجربة السكن الجامعي للدراسات العليا، فهناك سكن متميز راقٍ يتكون من غرفة فندقية مجهزة بشكل مناسب جدًا

لاحتياج الطالب، وهي تجربة جميلة من حيث الاحتكاك بالطلاب من جميع الجنسيات، وكذلك الاستفادة من خبرات عدة.

يمتاز النظام البريطاني بصفة العموم بالفصل التام بين الجنسين بالسكن، فلا يمكن إسكان طالب في بناية الطالبات، والعكس كذلك، ولكن لا يعني ذلك أن التداخل ممنوع.

اختياري لهذا السكن كان بدافع التعايش مع الطلاب وعدم الانفصال عنهم، أو الخلط بين كوني مديرًا أو كوني طالبًا، فقد اخترت أن أكون طالبًا مكتمل الشروط، ومن ثم عليَّ أن أسكن بهذا السكن الجامعي، وأن أعيش التجربة بكامل اشتراطاتها، وهذا ما كان.

في السكن كل الجنسيات وكل العادات على اختلافها، تستطيع أن تفرق بين الغربي والعربي من حيث طريقة الأكل واللبس والعطور الفواحة عند الخليجيين تحديدًا، وغيابها التام عند الطلاب الأوروبيين.

للسكن الجامعي خبرات جيدة، ولكن لعدم وجودي معظم الوقت لم أتداخل كما يجب مع باقي الطلاب، ولم أكوِّن علاقاتٍ كثيرة، وأعتقد أنه كان بالإمكان أن يكون أفضل مما كان في هذه التجربة. ويبقى لكل تجربة سلبياتها، ففي السكن تتكون كل شقة من خمس غرف متميزة بدورات المياه داخل الغرف، ومطبخ لكل شقة، فالمطبخ يكون مشتركًا للخمس غرف أي لخمسة طلاب، ويكون طلاب الدكتوراه منفصلين عن طلاب البكالوريوس، وفي إحدى المرات احتاجت الجامعة إلى تسكين طالبين من البكالوريوس في شقتنا وهما أسكتلنديان، والمعتاد أن يقوم كل من يستخدم المطبخ بتنظيفه بعد الاستخدام، إلا في حالة

الطالبين، فإنهما كانا أقذر من أن يطاقا، فتناقشت أنا وطالب عماني: كيف نتصرف؟ فكتبنا ورقة تدعو إلى جعل المكان نظيفًا ومرتبًا، فكتبا على الورقة كلمة قبيحة وقذرة، واضطررنا لإبلاغ الإدارة، فنقلا إلى سكن آخر.

لا يعني ذلك أن المجتمع غير منظم، فهذا استثناء يُثبت القاعدة العامة، وهي أن المجتمع منظم بأفراده.

النهايات

استفزاز الرئيس

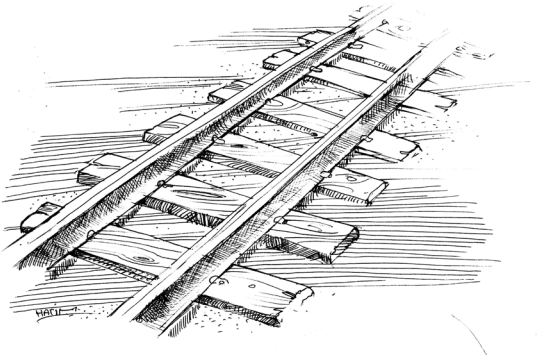

(وإذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدْ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ)

حافظ إبراهيم

هناك اجتماعات مستمرة مع رئيس القسم لأسباب أكاديمية مختلفة، وقد كان حريصًا عليها أشد الحرص ويعدّها من متطلبات العملية الأكاديمية، ويتأكد من وجود كل طالب، ويستفسر عن المتغيبين وأسباب تغيبهم، وقد حصل موقف في اجتماع ما، إذ وجدته مستفزًا لي شخصيًّا وللعرب والمسلمين، فقد كان مقررًا للاجتماع أن يبدأ في التاسعة صباحًا، وبحكم دقته المعهودة فقد حضرنا جميعًا قبل الوقت

وكنا في انتظاره، وعند التاسعة لم يحضر، وبعدها بدقيقة دخل على عجل، وهنا بدأ الاستفزاز، فقد رحب بنا جميعًا، ثم قال: «أعتذر عن التأخير لدقيقة واحدة»! وهل هناك استفزاز أكثر من ذلك؟! أنت الرئيس وتتأخر مرة واحدة ولدقيقة واحدة، وتعتذر، لا بد أنك لا تملك جينات الرئاسة أطلاقًا، فالرئيس لدينا هو من يتأخر كيفما أراد ولا يعتذر بل يجب أن نبدأ بتعليل تأخره؛ بأنه مشغول، ونحن من قطعنا عليه أعماله، فالعذر كل العذر له؛ فهو من يستحق الاعتذار.

السقوط بداية الطريق

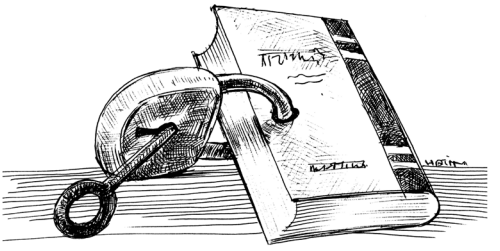

(الطموح هو الملاذ الأخير لمن يفشل)

أوسكار وايلد

تتكرر السقطات في جميع تجارب الحياة، ولم يُخلق بعد من لم يمر بتجارب فاشلة، والتجارب الفاشلة هي وقود للتجارب الناجحة، والخبرات تُعرَّف بأنها: مجموع السقطات والفشل الذي يمر به الإنسان. وإن استفاد الإنسان منها تكوَّن لديه رصيد من الخبرات تساعده على النجاح والتفوق في قابل الأيام.أذكر أن أحد الزملاء السعوديين وبعد مرور سنة في برنامج الدكتوراه ولكون مشرفته ليست مقيمة، اكتشف

في «المراجعات العلمية» النصفية بأنه لم يتقدم في بحثه كما يجب، وطُلب منه أن يغادر الجامعة، فتقدمه لا يتناسب مع ما قضاه من الوقت، علمًا بأن مشرفته هي السبب، حيث إنها لم تكن متواجدة ومن ثم لم تعطه الإشراف الكامل، ولكن كما ذكرت سابقًا بأن هذا البحث مسؤوليته الشخصية فيجب أن لا يركن إلى أي عذر.

كان الخبر عليه وعلينا مزعجًا جدًا، فهو نهاية غير ناجحة للتجربة، ولكن ولأنه طموح لم يتوقف بل تقدم إلى عدة جامعات أخرى وبشكل سريع، وقُبِلَ في إحدى الجامعات بشكل مشروط، أي أنه سيعاد تقويمه بعد مرور ستة أشهر من البدء، فقبِلَ التحدي وبدأ واختُبِرَ بعد الأشهر الستة وتجاوز الاختبار، وثبت طالب دكتوراه، واستمر حتى أكمل دراسته وعاد حاملًا الدرجة العلمية.

هذه القصة ليست غريبة وتكررت كثيرًا، ولكن هناك أيضاً قصص تتكرر عن طلاب يعودون بعد أول تجربة فاشلة ولا يستمرون، وكأن التجربة الفاشلة هي نهاية الطريق، فمن لم يفشل أبدًا لم يعمل أبدًا.

أيها السلبيون... ابتعدوا عني

(من جلس على الأرض لا يخشى السقوط)

حكمة

صفات البشر تنشأ وتتأثر بالأجواء المحيطة، وهناك بعض البشر سلبيون ويبثون السلبية في كل مكان، فهم مبتعثون على حساب الدولة وفي جامعة مرموقة وبسكن مناسب ومعهم أهلهم وأبناؤهم، ومع ذلك تجدهم يشتكون كلَّ شيء، ويشتكون من كلِّ شيء، فالوضع سيئ والظروف سيئة.

من عيوب هؤلاء السلبيين أنهم لا يعيشون سلبيين فقط، بل يجبرونك

أن تكون مثلهم، فهم يبثون شحناتهم السلبية عليك، ويجعلونك تعيش أجواءهم دون أن تشعر، فما أن تكون مع أحدهم إلا وتشعر أن هموم الدنيا قد تلبستك، هذا بالظروف الطبيعية، فما بالك إذا كنت في غربة وتحت ضغوط صعبة تحتاج فيها إلى كل شحنة إيجابية لتدعم نشاطك وتساعدك على تحقيق هدفك؟!

من خلال تجارب كثيرة وصلت إلى اقتناع بأن السلبيين ليس لهم حل إلا الابتعاد عنهم، فهم يبثون عليك شحناتهم السلبية، ويأخذون منك شحناتك الإيجابية، وهذا بكل الظروف ليس عدلًا على الإطلاق.

السعادة قرار شخصي

(السعادة أن يكون لديك ثلاثة أشياء:

◆ شيء تعمله ◆ وشيء تحبه ◆ وشيء تطمح إليه)

تولستوي

من خلال تجربة (قلاسقو) تحديدًا وغيرها من التجارب قابلتُ كثيرًا من الأشخاص السعداء، ولم يكن هناك عاملٌ مشترك بينهم غير أنهم سعداء، ففيهم الغني والفقير، وصاحب المنصب وذو الوظيفة العادية، والمتفوق والعادي، وما إلى ذلك من المتناقضات. كثير من الأشخاص يربط بين المال والسعادة مثلًا، أو المنصب والسعادة، وهذا تبسيط مخلّ لتعريف السعادة.

فكم من الأغنياء تعساء، وكم من أصحاب النفوذ ليس لهم أي علاقة بالسعادة، فالسعادة من خلال تجارب واستطلاع ومعايشة هي قرار شخصي، فأنت فقط من يستطيع أن يكون سعيدًا، تبدأ العملية من الداخل فترضى بما أنت فيه وتتعايش معه، وتستمتع بما عندك دون النظر لما عند الآخرين، فستجد نفسك -بتوفيق الله - من السعداء.

اليوم الأخير والفرح الكبير

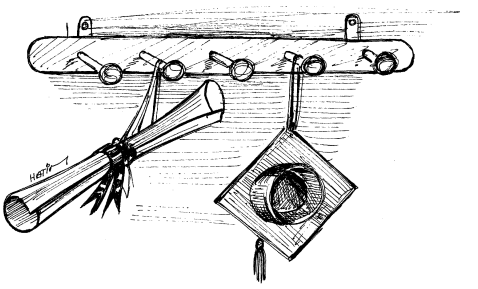

(نقل فؤادك حيث شئت من الهـوى   ما الحب إلا للحبيـــــب الأولِ

كم منزل في الأرض يألفه الفتـــى   وحنينه أبــداً لأول منـــــــزلِ)

أبو تمام

للفرح طعم مختلف وجميل، ولا أعتقد أن هناك من يشعر بفرح الانتهاء من المناقشة وتجاوزها بنجاح إلا من جرَّب تعب وإرهاق وترقب دراسة الدكتوراه، سنوات من العمر قد تذهب هباءً في هذه اللحظة، وقد تجهض كامل مخططاتك وبرامجك إذا لم تتجاوز هذه المناقشة بنجاح.

كانت أجواء الترقب والاستعداد للمناقشة ذات طابع مؤثر، وما

إن انتهيت بنجاح؛ حتى لم أجد كلمة يمكن أن تشرح حجم الفرح ومقدار السعادة بعد الانتهاء بنجاح، فكل ما خططت له من مظاهر التعامل مع لحظة التخرج ذهب هباء، حتى أسلوب الفرح تخيلته بشكل معين، ولكن عند الحدث اختلفت الأمور. أصرت المشرفة عليّ بحضور غداء مع الممتحنين، وقالت: إن هذا إجراء متبع، وطلبت منها فرصة للاتصال بالأهل والإبلاغ عن النهاية السعيدة، وحصل ذلك، وذهبنا للغداء، وكان أسلوبًا من أساليب التكريم، كما قيل لي مرحبًا في نادي الدكاترة، فهم يعدُّون أن اجتيازك للمناقشة والحصول على الشهادة هو قبول لك في النادي الذي -بلا شك- يعدّونه ذا خصوصية. احتفلت كثيرًا مع بعض الزملاء السعوديين، وكان يومًا خاصًّا للفرح بامتياز، فشعرت بأن كل مَن في الجامعة فرح في ذلك الوقت، علمًا أنه شعوري أنا فقط، ولكن هي الأحاسيس تجعلك ترى الدنيا كما تريد أن تراها. (كن جميلًا ترَ الوجود جميلاً).

وهنا أتوقف عند أمر مهم، وهو أن الإنجاز -أيًّا كان- هو في غالب الأحيان معنوي وليس حسيًّا، فمثلا ماذا ستضيف هذه الشهادة؟ ولكنها معنويًّا تعني الكثير، وكذا كثير من الأمور الدنيوية، فهي تقاس بما تضفي على الإنسان معنويًّا وليس ماديًّا في غالب الأحيان.

للماديات قيمة بلا شك، ولكن قيمتها محدودة يحتاجها الإنسان إلى حد معين، ومن ثم تبقى إضافة ليس لها تأثير كبير، ولكن يبقى النجاح في كل شيء له تأثير السحر في انشراح الروح وتحقيق الذات، فلو قام كل إنسان بحساب إنجازاته بشكل مادي فقط، وكذا فعل المجتمع فلن يتطور المجتمع وسنبقى في ذيل القائمة، ماذا يستفيد الباحث مثلًا في

عمر الثمانين من بحثه؟

هل سيبقى للحصول على نتائجه المادية، أم أنه يبني لغيره ويستمتع بالإنجاز المعنوي الذي قد يكون سببًا لطول العمر وراحة البال؟ ولنتذكر قول الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم-: (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها).

زيارة الأماكن القديمة

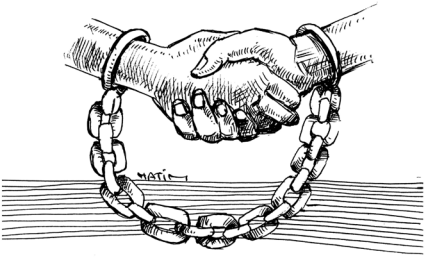

(يا طالباً للفـراق مهلاً بحيلة قد كفاك اشتياق
اصبر فطبع الزمان غدرٌ وآخـر الصحبة الفراق)
من كتاب (ألف ليلة وليلة)

للذكريات تأثيرُ السحر على الإنسان، وتبقى الذكريات بحلوها ومرها وقود الإنسان وتذكار الماضي ودروس المستقبل. هناك أماكن هي جزء من الحكاية، بل كل الحكاية لا يمكن أن تذكر التجربة دون أن تلوح في عينيك وذاكرتك تلك الأماكن. لقد عشقتُ المكان الذي هو (قلاسقو) وعشقت الأماكن الكثيرة التي هي جزء من (قلاسقو) وجزء مهم من ذكرياتي في (قلاسقو). عند نهاية التجربة أحببت أن

أزور أماكني في (قلاسقو)، وعندما أقول أماكني أقصد التي اعتدتُ على الجلوس فيها، فقد كنت أتشرب الأماكن وأستمتع فيها وأعيشها لتكون الجلسة فيها خارج الحياة والتاريخ. مررت عليها كلها في يوم الوداع، فعلت فيها ما كنتُ أفعله في السابق أي المكوث والتأمل والقراءة. القراءة مختلفة هذه المرة وطعمها مختلف، فهي قراءة مودع، ولكن أحببت أن أستمتع بها في آخر تجربة، وكنت أقول لنفسي قد تكون هذه آخر زيارة (إذا استثنينا الحضور لحفل التخرج بعد شهرين من المناقشة)، وحقاً هي آخر زيارة حتى الآن، أحببت عدة مرات العودة لها ولم أتمكن لأسباب مختلفة أخشى أن يكون خوفي من رؤيتها بحلَّة مختلفة يؤثر على رأيي فيها. قمت بزيارة جميع مرافق الجامعة التي اعتدت زيارتها، مسحتُ على جدرانها، ولامست ورودها وأزهارها، وتلمستُ نفحات الذكرى التي عشتها في هذه الأماكن، وزرت المقاهي التي اعتدت زيارتها، وزرت (البايرز روود) و(البوكنان ستريت) وغيرها من الأماكن. كانت سياحة فكرية حرة ممتعة. قد يستكثر إنسان هذه الزيارات، ويعتقد أنها من باب الترف الفكري المبالغ فيه، ولكن عند زيارتي لأي مكان أحاول حقيقة أن أستذكر تجربتي الشخصية مع المكان، ثم أعود للوراء وأسأل التاريخ: كم شخصاً مرَّ من هنا؟ كم حدثاً حدث هنا؟

لنأخذ مثالًا: مبنى الكلية في جامعة (قلاسقو) عمره ٥٥٠ سنة، ولنسأل أنفسنا هذه الأسئلة :

- كم ماراً مر من هنا ؟
- وكم دارساً درس هنا ؟

- وكم مبدعاً عاش هنا ؟
- وكم شخصاً مات هنا ؟
- وكم حكومة مرت على هذا المبنى ؟
- وكم حدثاً مر عليه ؟ وكم... الخ.
- والسؤال الأهم: ما مصير من عاش منهم؟ وأين هو الآن؟ وما مصير من مات منهم وأين مصيره؟

كل ذلك أكبر من إحاطة البشر والحكومات وكل الدنيا، إنه فقط في علم العليم الخبير رب العالمين.. أليست هذه الفكرة جديرة بالتدبر؟ يقول بعض السلف: إن التدبر هو العبادة المنسية.

نحن، وفي وداعنا لمكان ما نحاول أن نقوم بتلك الفريضة المنسية المهمشة، نحاول أن نتدبَّر المكان على مهل، نشرب صوت هوائه الغريب على القلب، نُغرق في التأمل حتى نصل إلى ما وراء الجدران والأمكنة.. إنها (قلاسقو).

◆◆◆

الزبون دائماً على حق

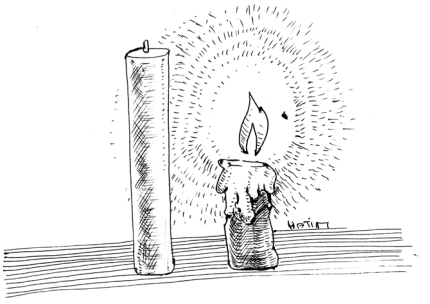

(تكون الجودة عندما يعود إلينا عملاؤنا، ولا تعود إلينا منتجاتنا)

مثل تسويقي مشهور

كثيرًا ما نسمع هذه العبارة: «الزبون دائمًا على حق». وبعض المحال والمتاجر تتغنى بها، ولكن لابد أن نعترف بأننا لا نجيد تطبيق هذه العبارة، والأمثلة على هذا كثيرة جدًا ابتداءً من الأجهزة الحكومية إلى الجهات شبه الحكومية، وصولًا إلى القطاع الخاص.

يشعر المستهلك أحيانًا كأنه وقع في الفخ عندما يقتني منتجًا أو خدمة، ويشعر البائع بأنه فعل ما عليه وانتهى الأمر، لذلك تبقى خدمة

ما بعد البيع هي دائمًا المشكلة في السوق السعودي، ولكل منا ذكريات مؤلمة في هذا الجانب.

أما تجربتي في (قلاسقو) فهي كالتالي: فعند نهاية المناقشة كانت هناك بعض التعديلات الطفيفة التي يستغرق تعديلها أسبوعًا، وقمت بإنهائها بشكل سريع؛ لأنها جوانب شكلية، وتم ذلك وطُلب مني طباعتها وتسليمها للإدارة للتأكد من أن الرسالة أصلية، فهناك إجراء متَّبع تجري من خلاله مراجعة الرسالة إلكترونيًّا والتأكد من أن الرسالة أصلية أي ليست مسروقة من جهة أخرى، ومن ثم يطلب منك تسليم نسخة ورقية للحصول على إشعار التخرج.

قمت بعمل اللازم، وكان موعد تسليم الرسالة يوم الجمعة آخر أيام الأسبوع قبل الرابعة لأتمكن من الحصول على الخطاب الموجه للملحقية التعليمية في السفارة السعودية لاعتماد الشهادة. قمت بتسليم النسخة للطباعة في متجر مختص بطباعة رسائل الدكتوراه بشكل مناسب، وفي يوم الخميس ونظرًا لتكرر النسخ الموجودة في الذاكرة، حيث إن التعديلات تعمل ولكن من باب الحيطة تبقى النسخ السابقة للمراجعة، وعند تسليم (الفلاش ميموري) قمتُ أنا خطأ باختيار النسخة قبل الأخيرة وليست الأخيرة، وطلب مني الحضور يوم الجمعة العاشرة صباحًا لاستلامها.. وعند حضوري في الغد واستلامي النسخة قمت بمراجعة سريعة فاكتشفتُ الخطأ، فقلت له مباشرةً: إني أخطأت ومستعدٌّ لدفع قيمة طبعة جديدة ولكني أحتاجها الآن؛ لأن اليوم آخر أيام الأسبوع وأنا مسافر غدًا.

ابتسم وقال: لا، لا يمكن أن تدفع القيمة مرتين، وسأقوم بإعادة طباعتها حالًا، وستكون بين يديك الساعة الثالثة، ولن تحضر مرة أخرى، انتظرني بالجامعة وسأقوم بإحضارها بنفسي. وعند الثالثة حضر وأحضرها وكنت طلبت نسختين إحداهما ملونة لتسليمها للجامعة، فقام بطبع النسختين طباعة ملونة واعتذر عن الخطأ، حتى إنه أشعرني بأنه المخطئ وليس أنا، وجرى التسليم قبل نهاية اليوم، والحصول على الخطاب في آخر لحظة قبل نهاية اليوم.

فهل كان يمكن أن يحصل نفس الشيء لو كان الموقف في السعودية أو أي بلد عربي؟

لذة التعب

(لو أراد الإنسان أن يعيش حقًا، فعليه أن يعمل ويكون جريئًا)

فان كوخ

التعب مرٌّ كاسمه، وليس له لذة، ويتعوذ الناس -كل الناس- من التعب، وما تسعد النفس إلا عند حصول المراد وتحقق الهدف أو الأهداف. وكل تعب الدنيا ينتهي عند تحقق ما يتمناه الإنسان. لكن ما يجب أن يدركه المرء هو أن لا نجاح بلا تعب، ولا أهداف تتحقق بلا جهد.

ما يشتكي منه مجتمعنا هو البحث عن النجاحات السهلة، وإلا ما سبب

انتشار الشهادات المزيفة، وانتشار بائعيها في كل مكان؟! كنت في إحدى الرحلات من جدة إلى الرياض، وبجانبي شاب سعودي يتحدث بالجوال مع شخص واضح من طريقة الكلام أنه من بلد عربي، فقال الشاب للطرف الآخر: أريد أن تبحث لي عن شهادة في الإدارة ماجستير ودكتوراه، وما يمكنني عمله هو أن أكون في بلدكم لمدة أربعة أشهر! سيقضي في هذا البلد أربعة أشهر ويحصل على الماجستير والدكتوراه! لا لذة لإنجاز بلا جهد وتعب، ولا قيمة لورقة لم يفِها الإنسان حقها. إن الحصول على الشهادة ليس هدفًا بحد ذاته، إن العلم وما ترمز له الشهادة هو الغاية.

كثيرًا ما يخلط الإنسان بين الغاية والوسيلة، فعندما تكون الغاية الحصول على الورقة وليس العلم سيكون الحصول عليها بأي وسيلة هدفًا بحد ذاته، وهذا ما يحصل الآن وبشكل يدعو للأسف.

خلاصة القول، إن التعب لذيذٌ في مكانه، وممتع إذا حقق لك النتائج، وكذلك يفعل كل العصاميين الذين تعبوا واجتهدوا بتحقيق نجاحات اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية أو علمية، فهم تعبوا واجتهدوا وحققوا ما حققوا ولكنهم يتلذذون بتعبهم وأيضًا بنجاحاتهم.

فأنصح نفسي وكل من يقرأ هذا الكتاب بالتفكير بهذا الاتجاه، فهو الطريق الصحيح المناسب. وحريٌّ بنا أن نعرف أن الشهادة -أيًّا كانت- على أهميتها لم ولن تكون هي سبب للنجاح، فقد نجح الكثير والكثير وحققوا نتائج استثنائية وهم بلا شهادات، أو بشهادات محدودة.

هل أنا لازلت أنا

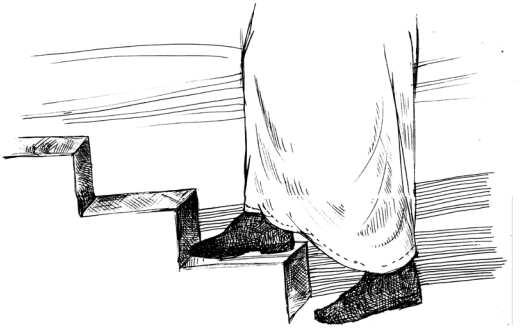

(إننا نصنع مصائرنا، إننا نصبح ما نفعله)

حكيم

سؤال مفتوح وسيظل مفتوحًا منذ البداية وحتى النهاية: هل الشخص يكون نفس الشخص بعد سنوات من الدراسة؟ الجواب البديهي: أن لا، حيث إنه إذا كان نفس الشخص فلماذا الدراسة؟ ولكن النقطة المقصودة هي: هل أسلوب التفكير وطريقة التفاعل مع الأحداث هي نفسها؟

قابلت زملائي من جامعة (الملك فهد للبترول والمعادن) بعد تخرجنا

بسنوات طويلة، ويا للعجب -وبشكل عام- فقد وجدت الأشخاص هم الأشخاص، والأسلوب لم يتغير كثيرًا، ولكن -بلا شك- تطوروا. برأيي أن دراسة الدكتوراه تعيد تفكيك الشخص وتعيد تركيبه، ولا أقصد هنا دائمًا النتيجة للأحسن، ولكن -بلا شك- أن الشخصية الجديدة مختلفة تمامًا.

المهم أن يعلم أن الشخصية الجديدة ليست في كل الأحوال أفضل من السابقة، فقد يكون الجديد أسوأ إذا أصاب النفس شيء من الكبر والغرور مثلًا، أو إذا أصابها شعور بالارتفاع في برجٍ عاجيٍّ، وكأن الحصول على الشهادة هي غاية المنى أو منتهى الطموح.

إن الحصول على الدكتوراه هو فقط شهادة تثبت أنك قادرٌ علميًّا على أن تكون باحثًا أكاديميًّا متميزًا، وبعد الحصول على الدكتوراه يبدأ العمل.

نعود لنفس السؤال: هل أنا ما زلت أنا؟ أشك في ذلك، وأعترف أنني في بعض الحالات أسوأ وفي بعضها قد أكون أفضل، ولا يمكن بأي حال أن أدعي أني أفضل بصفة العموم، ولكن بلا شكٍ أنا الآن مختلف.

دكتور

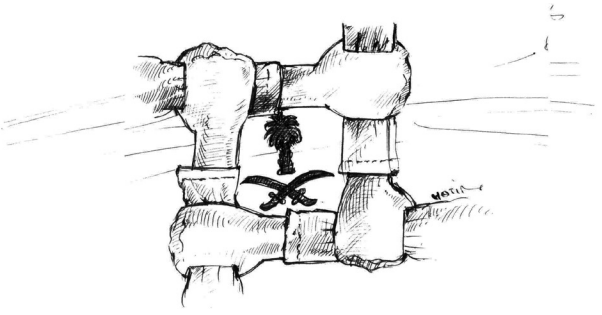

(أرجو أن أتمتع دائمًا بالعز والفضيلة الكافيين لكي أحافظ على أكثر الألقاب التي يحسد المرء عليها، وهو لقب إنسان شريف)

سلفادور دالي

كنا نجتمع باستمرار في النادي السعودي، ونعرّف بأنفسنا وتخصصاتنا، وكان لطالب الدكتوراه وقع -بلا شك- ويُنظر له بشكل مختلف، وبعد الحصول على الشهادة يزداد الإعجاب بالشخص وخاصةً من قبل الطلاب الجدد سواء دارسي البكالوريوس أو الماجستير، وهذا شعور جميل أن تشعر أن التقويم لك مبنيٌّ في إطار علمي وليس شكليًّا، ويجعلك تفخر بنفسك.

ولكن مرة أخرى، لا يعلم مقدار هذه الشهادة الأكاديمية إلا الحاصلون عليها، فهي -وبكل واقعية- لا يجوز أن تحمل أكثر مما تحتمل، فهي مجرد وسيلة من ضمن الوسائل المساعدة للنجاح لا تقلل من غيرها من الوسائل، ولا يجب أن تأخذ أكثر من حجمها الطبيعي.

النظر للدكتوراه من الخارج في مجتمعنا لا يعكس واقعها، وقد يُصدم كثير من الناس عند قراءة هذا الكلام، فلها هالة من الخارج ليست بالضرورة صحيحة. ومرة أخرى، لا يعني أنني أقلل منها أو أبسّطها، لكن أرجو أن توضع في إطارها الصحيح، حيث إن خروجها من إطارها جعل الناس تتلهف عليها -كما ذكرت سابقًا- بشكل سلبي، وبدون وجه حق في بعض الحالات.

حفل التخرج

(لا شيء يجلب لك السعادة إلا أنت)

رالف إيمرسون

لن أطيل كثيرًا في هذه النقطة، فقد كان حفل التخرج على أعلى مستوى من التنظيم، وفيه مهابة غير اعتيادية؛ فمراسم الحصول على الشهادة تعتبر مراسم قديمة، من الواضح أنها مختلطة ببعض الأفكار الاجتماعية اليونانية القديمة حتى إن إعلان حصولك على الشهادة يكون باللغة الإغريقية القديمة مما يجعلك في وضع مهيب وغير تقليدي على الإطلاق.

ولكن في كل الأحوال كانت لحظات جميلة مميزة وخالدة بلا شك، ومما جعلها ليست كما أحب هو أنني كنت وحيدًا في هذا الحفل بلا أي أحد من أهلي إلا أخ عزيز حضر معي من باب المجاملة، وهو الأخ العزيز (سامر جان) فقد كان بوجوده سلوان إلى حد ما، فغياب الأهل عن الحفل كان له تأثير سلبي، فقد تزامن الحفل مع موعد الاختبارات في المدارس السعودية مما قلل من فرص حضور الأهل للحفل.

الحلم الجديد

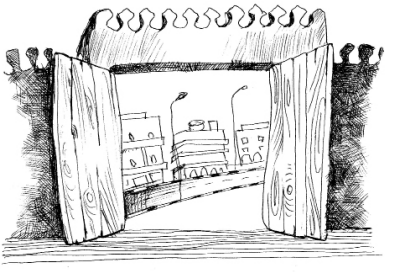

(إذا لم يكتشف الإنسان شيئاً ما يموت من أجله فلا يستحق العيش)

مارتن لوثر كنج

لتستمرَّ الحياةُ ولتتكرر الإنجازات نحتاج دائمًا إلى أهداف وطموحات جديدة، فبلا أهداف ينتهي الطموح، وعند نهاية الطموح يموت الإنسان، إذا لم يكن موتًا حقيقياً فموت معنوي وشعوري، ويكون بلا قيمة اجتماعية.

وما دمنا في صدد الأهداف الأكاديمية فيجب ألا يقف الإنسان عند حدِّ هذه الشهادة، بل يجب أن يكون هناك مساران يتبعهما كل من

حصل على الشهادة :

المسار الأول: أن ينخرط -ولو بشكل جزئي- في التعليم الأكاديمي في إحدى الجامعات خاصةً وهناك نقص كبير في هذا الجانب في العالم بشكل عام، وفي السعودية بشكل خاص، ويجب أن يعدّ هذا الأمر أيًّا كان بعوض مادي أو دون عوض من زكاة العلم.

المسار الثاني: يجب أن ينخرط الحاصل على الشهادة بالأبحاث الأكاديمية في مجال تخصصه وينشرها حتى يثري المجال العلمي، وكذلك يحصل على درجة (الأستاذية) من إحدى الجامعات المرموقة.

فكل هدف يجب أن يكون أساسًا لأهدافٍ أخرى، ومن ثم تستمر وتتطور الحياة، ولا يصح أن يقلل أي شخص من أيِّ دراسة أو جهد في أي اتجاه، قد تكون البداية بسيطة ولكن قد تقود إلى نهاية استثنائية.

هل كان (عباس بن فرناس) على علم بأن خطوته الأولى في الطيران ستقود لما نحن فيه الآن؟ بلا شك مستحيل، ولكن جهده حقق الخطوة المطلوبة، وأشعل أفكارَ مَنْ بعده حتى وصل الطيران لما وصل إليه.

الخاتمة

(الحياة الكاملة: أن تنفق شبابك في الطموح، ورجولتك في الكفاح، وشيخوختك في التأمل)

ولفرد بلنت

هل أنا في الخاتمة بعد هذا الحلم الذي دخلته، أعني الكتابة؟ ماذا يعني أن أنهي كتابًا عن أيامي في (قلاسقو) تلك المدينة الفاتنة. (قلاسقو) الغزالة التي تمرح في العين، والأيام الغابرة التي تُلازم مكتب الذاكرة دائمًا. أغيب عنها، ولكنها حاضرة فيّ أبدًا. تحاصرني من كل مكان.

هذه هي الخاتمة إذن، وهذا أنا لابد أن أختمها بأبيات (طُفيل الغنوي) شكرًا لـ (قلاسقو) ولأهلها:

أبوا أن يملونا ولو أن أمَّنا تلاقي الذي يلقون منا لملتِ
هم خلطونا بالنفوس وألجئوا إلى حجرات أدفأت وأظلَّتِ
وقالوا: هلمو الدارَ حتى تبينوا وتنجليَ الغمَّاءُ عما تجلتِ

قد كنتُ أشك في إتمام هذا الكتاب لأسباب متعددة، أجملها للقارئ في سببين:

أولًا: هل لديَّ ما يُذكر، فضلًا عن أن يُقرأ؟ هذا سؤال ألحّ علي طوال كتابة الكتاب.

ثانيًا: قال لي أحد الأصدقاء: لماذا تريد أن يقرأك الناس؟ فقلت له: لعل أحد العابرين يستفيد بشيء أو نصيحة في هذا الكتاب فأرتفعُ بها عند ربي.

فهذه قطعة مسطورة من ذاكرة اختبأت في زوايا نفسي..أحببت أن أضعها بين يدي العابرين من هنا، لعل فيها بعض الذي يستحق، ويفيد!

وها أنا قد انتهيت من بثي، ونحيت قلمي بعيدًا عني بحمد ربي وكرمه.. فالحمد لك ربي في الأولى والآخرة.

الملاحق - (قلاسقو)[1]

أسكتلندا دولة في شمال غرب أوروبا تعتبر جزءًا من المملكة المتحدة، وتحتل الثلث الشمالي من جزيرة بريطانيا العظمى، وتحدها جنوبًا إنجلترا، ويحدها شرقًا بحر الشمال، وغربًا المحيط الأطلسي وعاصمتها (أدنبرة)، وأهم مدنها وأكبرها مدينة (قلاسقو).

كانت أسكتلندا مملكة مستقلة حتى ١ مايو ١٧٠٧م حيث أُقرَّ قانون الوحدة لعام ١٧٠٧م الذي اتحدت بموجبه مملكتا إنجلترا وأسكتلندا في ما يعرف اليوم بمملكة بريطانيا العظمى.

(قلاسقو) (Glasgow) من المدن البريطانية والأسكتلندية الخاصة

١- مصدر هذه المعلومات مواقع مختلفة من شبكة الإنترنت

والمثيرة؛ فهي من أقدم المدن في البلاد وأكثرها أناقة وترحابًا. ولأنها منذ سنوات طويلة مدينة الطبقة المتوسطة والعاملة في أسكتلندا، لا يضاهي ضجتها ضجة كل أسبوع، حيث تضم ناديي العدوين اللدودين في عالم كرة القدم: «رينجرز» و«سالتيك» اللذين يستقبلان أسبوعيًّا ما لا يقل عن ١٢٥ ألف مشجع. ولفرادة المدينة وطيبة أهلها أصبح لها لهجتها الخاصة بها وبأبنائها التي يطلق عليها اسم «قلاسقويجيان» نسبة إلى اسم المدينة. وهي لهجة إنجليزية إيرلندية سلتية محلية ومخلوطة وسريعة ومقتضبة وثقيلة يصعب فهمها في البداية، لكن مع الوقت يمكن للفرد أن يكتشف تعابيرها وجمالها وقربها إلى القلب.

ويعني اسم (قلاسقو) المكان الأخضر المحبوب، لذا موقع المدينة يستخدم منذ أزمنة ما قبل التاريخ من أجل السكن بسبب قربها من نهر «كلايد» ومنها مساحة طبيعية رائعة لصيد سمك السلمون المعروف والطيب.

المدينة التي يعيش في أحيائها القديمة والحديثة حوالي مليوني شخص، من أكبر مدن أسكتلندا، والثالثة من حيث عدد السكان في بريطانيا. وتتمتع بموقع طبيعي ممتاز على ضفاف النهر، منذ القرون الوسطى (المناطق الوسطى الغربية). وقد أسهمت الكنيسة والجامعات في المدينة فيما يوصف بالتنوير الأسكتلندي، وتقول الموسوعة الإلكترونية الحرة: إن (قلاسقو) أصبحت مهمة في القرن الثاني عشر، لكن الذي أسسها كما نعرفها فهو القديس كينتيغرن (Saint Kentigern)، ويوجد بها المعرض السنوي الذي يجري في المدينة تحت اسم «معرض قلاسقو» يعود تاريخه إلى عام ١١٨م.

أصبحت المدينة منذ القرن الثامن عشر إحدى نقاط التجارة الأساسية مع الأمريكيتين، ومع الثورة الصناعية، نمت المدينة والمنطقة المحيطة بها لتصبح واحدة من أهم مراكز الهندسة وتعليمها وبناء السفن البارزة في العالم، أيام «الإمبراطورية البريطانية»، خصوصًا عهد الملكة (فيكتوريا) كانت (قلاسقو) المدينة الثانية بعد لندن، وكانت عماد الإمبراطورية الصناعي الذي لا يقهر، وبين العصر الفيكتوري ونهاية الحرب العالمية الثانية أيام كثرت هجرة الايرلنديين إليها، فبقيت المدينة من أهم المراكز الأكاديمية والقانونية والصناعية الدولية، خصوصًا على صعيد إنتاج الصلب والفحم الحجري وبناء السفن الضخمة (مثل السفن الشهيرة: Queen Mary Queen ElizabethQE2، Royal Yacht Britannia)، وغيرها من الآلات الصناعية الثقيلة والهندسة البحرية، لكن بعد الحرب العالمية الثانية تراجعت مكانة المدينة بعد سطوع نجم اليابان وألمانيا صناعيًا، وعاشت فترة طويلة من الركود المالي والاجتماعي تواصلت حتى التسعينات من القرن الماضي.

منذ ذلك الوقت تعيش المدينة نهضة كبيرة على جميع الصعد، حتى أنها اقتربت من استعادة سمعتها وجاذبيتها وأهميتها، وهي حاليًّا من أكبر المراكز الأوروبية التجارية والمالية، إذ إنها رابع أكبر مدينة في أوروبا بعد لندن وباريس وبرلين. وقد اعتبرت عاصمة أوروبا الثقافية عام ١٩٩٠م.

تُعدُّ (قلاسقو) أكبر منطقة اقتصادية في أسكتلندا، وأهم المدن من حيث الإنتاجية في البلاد،وتضم ما لا يقل عن ١٢ ألف شركة، ووصلت قيمة الاستثمارات الخارجية فيها عام ٢٠٠٦م إلى ٤,٢ مليار جنيه إسترليني (٨ مليارات دولار)، ويقال: إن (قلاسقو) من أكثر المدن الأوروبية

نموًا من الناحية الاقتصادية وإيجاد فرص العمل، خصوصًا أن ٥٥٪ من سكان المناطق المحيطة يدخلون إليها كل يوم، ورغم أن المدينة لا تزال نشطة على صعيد بناء السفن فإن التركيز حاليًا على اقتصاد منوع، مثل قطاع المال والشركات (السادسة عشرة في أوروبا) والاتصالات والعلوم والصناعات الذكية والصحة والتجارة والتعليم العالي والجامعي خاصة وعلى رأسها السياحة بالطبع. تنشط في المدينة قطاعات عدة مثل الإلكترونيات والبرامج والرقائق والكيميائيات والنشر والطباعة والأقمشة فضلًا عن أن المدينة تصنع ٦٠ في المائة من إنتاج أسكتلندا بشكل عام. وفي المدينة مكاتب ممثلين لأكبر الشركات في العالم التي يطلق عليها اسم «بلو تشيب». المدينة الحالية يعود تاريخها العمراني إلى القرن التاسع عشر، إذ لم يبق إلا شواهد قليلة على القرن الرابع عشر مثل كاتدرائية «القديس مونغو». ومع هذا تُعدُّ من المدن الجميلة عمرانيًا وفيها الكثير من المباني التاريخية والمهمة (Glasgow City Chambers وUniversity of Glasgow) على صعيد فن العمارة أكان فيكتوريًا أم كلاسيكيًا حديثًا. وعاش في المدينة في القرن الثامن عشر نخبة المعماريين المعروفين في جميع أنحاء العالم مثل جورج سكوت الذي صمم جامعة (قلاسقو)، والكسندر ثومسون، والأهم تشارلز ماكينتوش.

على أية حال فإن عمران المدينة قوي وجميل ومتنوع ودليل على الثروة والعظمة التي تمتعت فيها أيام الإمبراطورية. ومعظم المباني مبنية بالحجارة الرملية الحمراء والبرتقالية الدافئة. ومع هذا تضم المدينة أكبر عدد من المباني والأبراج العالية، لكن هناك مباني أخرى عالية وحديثة

على ضفاف الـ«كلايد» ومنها أطول برج في أسكتلندا «برج اليفينستون بالاس» (والذي يتكون من ٣٩ طابقًا) في منطقة «تشيرين كروس» المعروفة، ومنها أيضا «القاعة الموسيقية الملكية» (GlasgowRoyal Concert Hall) و«مركز المعارض والمؤتمرات الأسكتلندي» (Scottish Exhibitionand Conference Centre) و«قاعة كلايد التي صممها المعماري المعروف السير نرومانفووستر» (Clyde Auditorium) و«متحف المواصلات» (Museum of Transport) الجديد الذي صممته المعمارية البريطانية العراقية الأصل زهى حديد.

يحتضن وسط المدينة كل النشاطات الثقافية والترفيهية والتراثية، خصوصًا في ساحة «جورج سكوير»، مثل «المسرح الملكي» (الأوبرا والباليه) و«ذاكينغزثييتر» (TheKing's Theatre) و«صالة الفنون الحديثة (Gallery of Modern Art) و«مكتبة ميتشل» (Mitchell Library) و«صالة الأفلام» (Glasgow Film Theatre) و«مركز العلوم» (Glasgow Science Centre)' الذي يجذب الراغبين لفهم كيفية عمل التكنولوجيا وتطبيقاتها بوسائل سهلة وقابلة للفهم. والأهم من كل هذا «مدرسة قلاسقو للفنون» (Glasgow School of Art) التي صممها ماكينتوش» في (قلاسقو) (١٨٩٩-١٩٠٩) م، وتُعدُّ تحفة من تحف العمارة في العالم لجمالها وأناقتها ولربما كانت من أجمل جامعات العالم.

ومن هنا لا بد من ذكر تشارلز ماكينتوش (١٨٦٨-١٩٢٨م، الذي يُعدُّ من ألمع المعماريين المبدعين في بدايات القرن العشرين، وجميع أعمال ماكينتوش حصلت في (قلاسقو) وعلى رأسها «مدرسة الفنون» كما

صمم المعماري الرقيق والذكي مباني رسمية وحكومية ومنازل خاصة وعددًا من المقاهي الخاصة بالشاي (غرف الشاي)، وقد عمل ماكينتوش إلى جانب زوجته مارغريت ماكدونالد وأخته فرانسيس وهربرتماكنير، ويقال إن الأربعة وضعوا في تصميماتهم وأفكارهم أسس ما أصبح يطلق عليه الآن «ذوق قلاسقو». وتعرف مبانيه بأناقتها ووسامتها ووضوحها في إطار المفهوم «المكاني» أو «الفضائي»، ويعمل ماكينتوش عادة في هذا الإطار على تسخير جميع أنواع الأضواء طبيعية كانت أم اصطناعية، كما كان مولعًا بالتفاصيل الرقيقة والشفافة، وهو من مؤسسي ما يعرف بمدرسة أو حركة «الآرت نوفو الأوروبية» (Art Nouvaeu). وتُعدُّ هذه المدرسة من أهم المدارس المعمارية الحديثة، حيث تقول الأرقام الرسمية في أسكتلندا: إن المدينة التي كانت تستقطب عشرات الآلاف من السياح سنويًا قبل التسعينات أصبحت محطة سياحة من الدرجة الأولى تستقطب ما لا يقل عن أربعة ملايين سائح في السنة، وأصبحت المدينة أيضًا أهم مراكز عقد المؤتمرات في أوروبا.

وقد وضعت الحكومة المحلية خطة خاصة لإدخال المدينة في العصر الحديث وجعلها من المدن الناجحة. ويسهم قطاع السياحة أيضاً في توفير الكثير من فرص العمل التي وصل تعدادها إلى ١٥٠ ألف فرصة في السنوات الأخيرة (٢٠٠٥ - ٢٠٠٦) م.

بعد لندن ومانشستر يمكن القول: إن (قلاسقو) من أهم مراكز التسوق في بريطانيا وأوروبا، إذ تقدم كما تقدم المدن الكبرى كبرشلونة وباريس كمية هائلة من العروض والبضائع والثياب والمنتجات،

خصوصًا التي تحمل أسماء لامعة في ميلان وباريس ولندن وغيرها.

والأهم من هذا أن التسوق في المدينة سهل لأنها مصممة على الطريقة الأمريكية، وتكون الانطلاقة عادة من ساحة «جورج سكوير» باتجاه شارع «ارجايل» (Argyle) وشارع «بوكانين» (Buchanan Streets) ومركزي التسوق «بوكانين غاليريز» (Buchanan Galleries) و«سانت اينوخ سنتر» (St. Enoch Centre) المهمين، هذا على صعيد التسوق الاستهلاكي، أما على الصعيد المحلي فهناك أسواق شعبية رخيصة لا تحصى ولا تعد، سواء كانت للفاكهة والخضار أم للملابس أم للكتب والتحف والمجوهرات ومحلات الأثاث وغيره.

تضم المدينة جالية ضخمة وقديمة من الإيطاليين والباكستانيين، ويُعدُّ الباكستانيون أكبر جالية أجنبية مزدهرة في المدينة، خصوصًا في قطاع المطاعم الهندية، ولهذا تُعدُّ كل من (قلاسقو) وأدنبرة وأسكتلندا بشكل عام من أهم الأماكن التي تتوافر فيها المطاعم الهندية من جميع الدرجات، خصوصًا الفاخرة والمعروفة دوليًا.

نقاط عن (قلاسقو):

- أن جون بيرد مخترع التلفزيون بث أول صورة تلفزيونية في العالم من غرفته في فندق «سنترال أوتيل» (Central Hotel) في وسط (قلاسقو).
- أن جيمس واط الذي ولد في غرينووك، اخترع مكثفًا خاصًا خلال سيره في المدينة عام ١٧٦٥م، وقد أدى اختراعه فيما بعد إلى اختراع القطار البخاري الذي مهد للعالم الحديث، وربطه ببعضه بعضا، وسهل عمل الإمبراطوريات.

◆ أن المهندس المعماري تشارلز ماكينتوش اخترع المعطف المضاد للماء عام ١٨٤٢م، خلال عمله في المدينة.

◆ أن جراح (قلاسقو) المعروف غرانفيل باتيسون، هو الذي أسس عيادة بالتيمور الطبية في الولايات المتحدة، التي أدت فيما بعد إلى تأسيس أول مدرسة لتعليم الطب في الولايات المتحدة.

◆ أن ابن المدينة السير وليام بوريل كان يصرف ٢٠ ألف جنيه في السنة على شراء الأعمال الفنية، وواصل ذلك مدة ٤٥ عامًا.

◆ أن مجلس النواب في المدينة يملك نسخة مصغرة وحقيقية عن تمثال الحرية في نيويورك.

◆◆◆

جامعة قلاسقو [1]

جامعة (قلاسقو) (University of Glasgow) هي إحدى أكبر جامعات أسكتلندا من حيث عدد الطلبة، وواحدة من أقدم جامعات بريطانيا. وأسست في مدينة (قلاسقو) كبرى مدن أسكتلندا عام ١٤٥١م، من قبل بابوية البابا نيقولا الخامس، وبناءً على اقتراح الملك جيمس الثاني، منح الأسقف يامتيرنبول تصريحاً بإضافة الجامعة إلى كاتدرائية المدينة، وهي تحتل حاليًا حرمًا جامعيًا جميلًا، مبناه المركزي آية معمارية قوطية الطراز، يقع إلى الشمال الغربي من وسط المدينة.

مؤخرًا ارتفعت الجامعة إلى المركز الثمانين في التصنيف العالمي

١- مصدر هذه العلومات مواقع مختلفة من شبكة الإنترنت

للجامعات، وقفزت فوق جامعة القديس أندروز، مما يجعلها واحدة من المؤسستين في أسكتلندا اللتين توضعان داخل أكبر ١٠٠ شركة.

جاء تأسيسها بناءً على رغبة الملك جيمس الثاني الذي تمنى أن يكون في أسكتلندا جامعتان على قدم المساواة مع جامعتي أكسفورد وكمبريدج إنجلترا».

جامعة (قلاسقو) هي ثاني أقدم جامعة في أسكتلندا، إن جامعات القديس أندروز وقلاسقو وأبردين كانت مؤسسات كنسية، بينما جامعة أدنبرة هي مؤسسة مدنية، وجامعة (قلاسقو) تمتعت بالتنافس مع جامعة القديس أندروز، منذ إنشائها، ومع جامعة أدنبرة منذ تأسيس هذه الأخيرة في ١٥٨٣.

التخصصات:

مثل كل الجامعات البريطانية الرئيسة تشمل جامعة (قلاسقو) معظم التخصصات، إذ تضم ما لا يقل عن ١٢٠ تخصصًا، لكنها تتمتع بمكانة أكاديمية متميزة في الطب والهندسة الكهربائية وعلم الوراثة والطب البيطري.

جامعة (قلاسقو) توفر مجموعة كاملة من الدراسات الفنية بما فيها القانون، والطب، وطب الأسنان، والهندسة، بالإضافة إلى مجموعة شاملة من الدراسات الأكاديمية بما فيها العلوم، العلوم الاجتماعية، اللغات القديمة والحديثة والأدب، والتاريخ.

وهي من أقدم وأعرق المراكز التعليمية في المملكة المتحدة، وتُعدُّ رابع

أقدم جامعة بين دول العالم الناطقة بالإنجليزية، وجامعة (قلاسقو) مشهورة دوليًا بخدماتها الرائدة، وقد تخرج فيها مفكرون بارزون، بدءًا من العالم الشهير لورد كلفن حتى أبو علم الاقتصاد آدم سميث الذي أسس علم الاقتصاد.

إن مكانة جامعة (قلاسقو) باعتبارها واحدة من أكثر عشر جامعات تحقق أرباحًا من مجال البحث العلمي في المملكة المتحدة، وبوصفها عضوًا في مجموعة روسل المرموقة، تمكنها من تقديم خدمات تعليمية تبعث على التقدير والاحترام من جانب المؤسسات المهنية، وتبعث على الرضا من جانب الطلاب، وتوفر الجامعة عددًا كبيرًا من الفرص الدراسية من خلال ما تقدمه في أكثر من ١٠٠٠ برنامج لدراسة البكالوريوس و٣٥٠ برنامجًا للدراسات العليا النظرية.

التصنيفات:

- ترتيب جامعة (قلاسقو) من بين أفضل ١٪ من الجامعات في العالم وفق تصنيف QS للجامعات العالمية لعام٢٠١١.
- تصنيف الجامعة بوصفها الجامعة رقم واحد في المملكة المتحدة من حيث رضا الطلاب الأجانب، وذلك وفق الاستفتاء الصيفي لمؤشر رضا الطلاب الأجانب لعام ٢٠١١.

الريادة في مجال البحث العلمي:

جامعة (قلاسقو) هي مؤسسة قائمة على البحث العلمي، وهي

جامعة دولية لها تواجد عالمي. ويبلغ إجمالي دخل الجامعة السنوي من عقود البحوث أكثر من ١١٦ مليون جنيه إسترليني، مما يجعلها واحدة من أكثر عشر جامعات تحقق أرباحًا من مجال البحث العلمي في المملكة المتحدة،وتستقبل الجامعة علماء من أكثر من ١٠٠ بلد من جميع أنحاء العالم كل عام.

التميز في الخدمات التعليمية:

تنتهج الجامعة في التدريس منهجًا قائمًا على البحث العلمي. ووفقًا للاستطلاع الوطني المستقل للطلاب لعام ٢٠١١ جاءت نسبة الطلاب الذين يشعرون بالرضا عن البرامج الدراسية التي تقدمها الجامعة ٩٠٪من طلاب السنة النهائية بالجامعة، وهي نسبة رائعة، حيث تفوق المتوسط الوطني وهو ٨١٪.

في جامعة (قلاسقو) سوف تكتسب المهارات التي تحتاج إليها لتستطيع المنافسة في سوق العمل العالمية، وتكوين صداقات وعلاقات تدوم مدى الحياة، كما ستستفيد من فرص الدراسة في الخارج وتحسين فرص التوظيف والمشاركة في فرص التدريب المهني، واستكشاف مجموعة كبيرة من الأنشطة الاجتماعية.

فروع الجامعة: جامعة (قلاسقو)

لها ثلاثة فروع رئيسة وهي:

- حرم جيلمورهيل الجامعي، ويقع في الطرف الغربي من

(قلاسقو)، على بعد ثلاثة أميال من وسط المدينة.وهذا الحرم هو الحرم الرئيس للجامعة، وهو يجمع ما بين المباني التاريخية الكبرى ومرافق حديثة للخدمات، ويقع الحرم الجامعي في الطرف الغربي من (قلاسقو) (ويست إند)، وهي منطقة عالمية، ويتوسط الحرم مبنى من طراز العمارة القوطية الجديدة، ويوجد به برج يطل على مناظر خلابة من جميع أنحاء المدينة.

◆ حرم جارسكيوب الجامعي، ويقع على بعد أربعة أميال من الحرم الرئيس وتوجد به كلية الطب البيطري، والكثير من المرافق الرياضية في الهواء الطلق.

◆ حرم دومفريس الجامعي، ويقع في جنوب غرب أسكتلندا، ويحيط به ٨٥ فدانًا من الحدائق والمساحات الخضراء، ويضم كلية دراسات متعددة التخصصات.

أبرز النقاط:

◆ على مدى القرون الخمسة الماضية، صقلت الجامعة وطورت مواهب سبعة من الحائزين على جائزة نوبل، بما في ذلك أحد رؤساء الوزراء وأول وزير أسكتلندي.

◆ ألقى ألبرت أينشتاين في الجامعة محاضرة عن أصول نظرية النسبية العامة.

◆ تضم جامعة (قلاسقو) قسم الأدب الأسكتلندي، وهو الوحيد من نوعه في العالم.

◆ نشر في الجامعة أول صور موجات فوق صوتية لجنين في العالم بواسطة البروفيسور إيان دونالد عام ١٩٥٨م.

◆ في عام ١٨٤٠م، كانت جامعة (قلاسقو) أول جامعة في المملكة المتحدة تقوم بتعيين أستاذ في الهندسة.

◆ في عام ١٩٥٧أصبحت الجامعة أول جامعة في أسكتلندا تمتلك جهاز حاسب إلكتروني.

◆ الجامعة عضو في (IRUN – الشبكة الدولية للجامعات البحثية)، وهي شبكة دولية من جامعات البحوث الدولية.

◆ الجامعة عضو مؤسس في شبكة Universitas 21 وهو تجمع دولي للجامعات متخصص في وضع المعايير العالمية للتعليم العالي في أنحاء العالم.

◆ تستقبل الجامعة كل عام أكثر من ١٦,٥٠٠ من طلاب البكالوريوس و ٥,٠٠٠ من طلاب الدراسات العليا و ٥,٠٠٠ من الدارسين الكبار، ويأتي هؤلاء الطلاب من أكثر من ١٢٠ بلدًا من جميع أنحاء العالم.

◆ تُعدُّ الجامعة من أكبر المؤسسات في مدينة (قلاسقو) من حيث فرص التوظيف، حيث يعمل بها أكثر من ٦,٠٠٠ موظف من بينهم ٢,٠٠٠ موظف من الباحثين.

◆◆◆

صور من (قلاسقو)

صورة من مدينة (قلاسقو)

جامعة (قلاسقو)

بایرز روود

تندر بوکس کافیه

شارع بوكانين

نهر كلايد

فهرس المواضيع

الموضوع	رقم الصفحة
إهداء	٥
المقدمة	٧
البدايات	
أول يوم في (قلاسقو)	١٣
أول يوم في الجامعة	١٩
أسبوع الانخراط في النظام	٢٥
النادي السعودي	٢٩
بايرز روود	٣٣
النادي الاجتماعي	٣٧
تندر بوكس كافيه	٤١
تبادل النظرات مع السعوديين	٤٥
شعور الطالب وشعور المدير	٤٩

الدراسة

أكاديمي أم تنفيذي ٥٥
أسلوب التفكير ٥٩
التعلم الذاتي ٦٣
أنت صاحب القرار ٦٧
دور المشرف ٧١
تجربة المشرفتين ٧٧
بكاء ونحيب ٨١
تساقط الورق ٨٥
وعن عمره فيما أفناه ٨٩
آخر سنة (سنة الكتابة) ٩٣
أخلاقيات البحث ٩٧
المناقشة التجريبية ١٠١
المناقشة الحقيقية ١٠٥
وداع الأحبة والحبيبة ١٠٩
الفرح الإيطالي والفرح الأسكتلندي ١١٣
الدراسة خارج الصندوق ١١٧

الشخصيات

شخصيات ١٢١
مبارك ١٢٣
فاهم ١٢٥

سعود ١٢٩

زياد ١٣١

سعيد ١٣٣

رحيم ١٣٥

مكاوي ١٣٧

جابر ١٣٩

الخبرات و التجارب

رئيس البرنامج والنظام ١٤٣

المشرفة وحماية الطالب وحقوقه ١٤٧

معالجة الدكتوراه ١٤٩

المراجعة النصفية ١٥٣

النظام المفتوح (الدوام الليلي) ١٥٧

رمضان في (قلاسقو) ١٦١

الغزو الصيني ١٦٥

الشعب المصري الحبيب ١٦٩

أيام الفرح المتكررة ١٧٣

السكن الجامعي ١٧٧

النهايات

استفزاز الرئيس ١٨٣

بداية الطريق ١٨٥

أيها السلبيون... ابتعدوا عني ١٨٧

السعادة قرار شخصي ١٨٩
اليوم الأخير والفرح الكبير ١٩١
زيارة الأماكن القديمة ١٩٥
الزبون دائما على حق ١٩٩
لذة التعب ٢٠٣
هل أنا لازلت أنا ٢٠٥
دكتور ٢٠٧
حفل التخرج ٢٠٩
الحلم الجديد ٢١١
الخاتمة ٢١٣

الملاحق

(قلاسقو) ٢١٥
جامعة (قلاسقو) ٢٢٣

بعد حصولي على القبول في الجامعة وعند وصولي إلى قلاسقو في أول زيارة، كان يومًا غريبًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فقد انصهرتْ كل المشاعر في قلب واحد: الفرح والانقباض والانزعاج، وبرز بشكل جلي السؤال المهم: لماذا أنا هنا؟ ولماذا هذه الشهادة؟ وهل هذا القرار هو القرار الصحيح؟ للأسف، لا توجد إجابة واضحة، وسيبقى هذا السؤال عالقًا في الذهن مع كل زيارة وكل إشكالية وكل صعوبة، ولم يتهِ هذا السؤال إلا عند النهاية، إن كان فعلًا قد انتهى!

ISBN 9786030116894